1006

Harlequin

سلسلة قصص وروايات عبير

١٠٠٦

دار النحاس

تشابك الأقدار

هيلينا داوسن

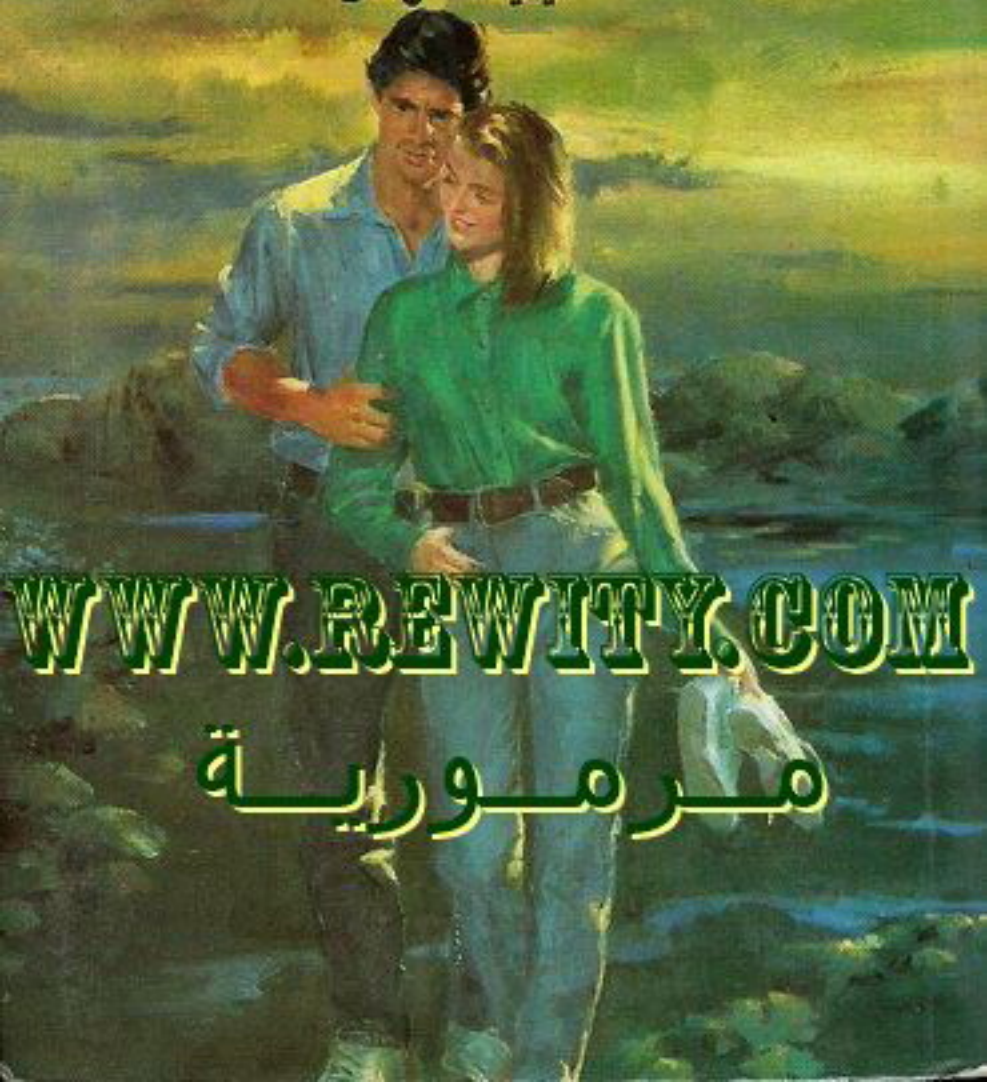

WWW.REWITY.COM
مرمورية

روايات عبير

تشابك الاقدار

هيلين داوسن

صممت كايت بنواردن أن تتمتع بقضاء عطلتها في اليونان ... وحيدة! في محاولة لنسيان إهمال خطيبها لها . أخر شيء ، كانت ترغب به، هو التورط بعلاقة اخرى. ولكن القدر عاكسها ، عندما التقت اليكس ديميتراكوس، الجذاب! رجل الأعمال اليوناني، كان وسيماً، اكثر مما تستطيع مقاومته ... أو تبعده عن بالها.

ولم يكن عندها النية، بأن تدع هيامها به أن يفقدها السيطرة على نفسها ... مهما كان راي اليكس بذلك!

«أنت، على التأكيد، تعرف كيف تسحر فتاة.»

قالت كايت، وهي ترمق بعينيها الخبز الطازج، عصير البرتقال وطبق اللبن.

رأت لمعاناً في عينيه الرماديتين، عندما تلاقت نظراتهما وفغر ألكسندر فاه الكبير. «كنت على وشك تضليلي، وأنا مسرور لأن براعتي المهنية نجحت، حيث سحري باء بالفشل الذريع.»

هيلينا داوسن

ولدت وترعرت في مقاطعة كِشاير كيت. هيلينا داوسن تقيم في مقاطعة «كِنت» منذ ثلاثين سنة. متزوجة، ولها ثلاث أبناء، بالغين. ابتدأت الكتابة منذ عشرة سنوات، تقريباً. وتدرجت من كتابة المقالات وتأليف القصص الصغيرة إلى كتابة الروايات العاطفية، وحدث ذلك بعد دخولها في مسابقة للتأليف (لم تفز) مما قادها إلى مقابلة مع أحد رؤساء التحرير في مؤسسة ملز أند بون. تهتم بحديقتها الكبيرة، في وقت فراغها، وتوزع البقية من وقتها على نشاطات قريتها المختلفة، والاستماع إلى الموسيقى، والاهتمام بعائلتها.

روايات عبير ١٠٠٦

RIWAYAT ABIR 1006

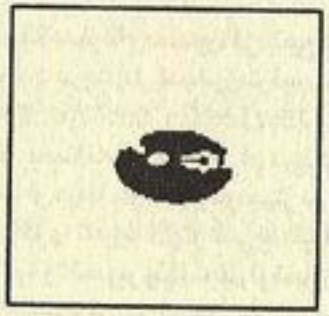

تشابك الأقدار

هيلينا داوسن

مؤسسة النحاس
لتوزيع الصحف والمطبوعات
بيروت. لبنان

الفصل الأول

«من فضلكما، لو تتطلعان حيث تسيران، ألا يمكنكما؟» قالت كايت بحدّة، وحملقت في الفتاتين اللتين مرّتا بها ووطئتا حقيبة السفر بقرب قدمها.

ولكزت إحداهما الأخرى وقهقهتا وهما ترمقان زمرة من الصبية يتسكعون على بعد أمتار من المصعد.

«مغرورتان قليلاً، ألسنا كذلك.» لفتت إحداهما نظر الأخرى وهما تندفعان في سيرهما مقهقهتين. «من تظن نفسها؟ أنا واثقة من أنها معلمة!»

حملقت كايت فيهما بغضب، وقد أثارها سلوكهما المنفّر، وزاد سوءاً في نفسها إدراكها أنها تحسدهما على لامبالاتهما.

رفعت كايت عينيها نحو لوحة مواعيد الرحلات من جديد، وهي غير متأكدة مما إذا كانت مسرورة أو آسفة لعدم تغيّر المؤشرات منذ وصولها إلى المطار قبل ساعتين لتجد أن الرحلة تأخرت وقتاً غير قصير. لقد فقد الوقت كل معنى في مكان المسافرين الغرباء هذا، وقد خدّر خوفها من الطيران جميع أحاسيسها فلم تتمكن من استجماع طاقتها لتقرّر التخلص من الحيرة والعدول عن فكرة القيام بهذه الرحلة والعودة إلى البيت. وبرغم ذلك، أقنعتها صديقتها الحميمة ليز، التي تثق بها ثقة مطلقة وتعرف مقدار خوفها من الطيران، بصواب الفكرة.

فكيف سمحت لنفسها بالإذعان للفكرة، والسفر في هذه اللحظة بالذات، حين صار العمل على شفير اتساع مثير؟

والتقطت كايت حقيبتها ووضعتها في حضنها، تطوقها بيديها، غير واعية، وتعانقها. وتذكرت تلك الأمسية في الأسبوع الماضي عندما قدمتها إليها ليز بصفتها «أمراً واقعاً» مع بطاقة سفر بالطائرة مؤكد حجز مقعدها مدفوعة الثمن.

قالت صديقتها بلهجة حازمة، «تحتاجين إلى استراحة يا عزيزتي. فلن تجيدي شيئاً إذا بقيت في العمل كما أنت الآن، فمتى نمت نوماً جيداً آخر مرة؟»

أنعمت النظر في وجهها عن كثب، وقالت: «يشق عليّ أن أقول ذلك، لكني أرى دائرتين سوداوين حول عينيك، وهذا ما لا يلائم عملك.» هذا ما أضافته بصوت رقيق وهي تعرف تماماً أن ملامح الإرهاق البادية على وجه كايت ليست لها علاقة بساعات العمل الطوال التي تقضيها الفتاتان قبل افتتاح متجرهما للملابس النسوية.

«لكني لن...» هكذا شرعت كايت بالكلام، لكن ليز توقعت مقدماً اعتراضاتها المعهودة.

«أعرف أنك لا ترغبين في الطيران، لكنني فكّرت في الأمر أيضاً.»

نقّبت في حقيبتها وأخرجت منها مغلفاً صغيراً أبيض قدمته لكايت.

«أعرف أنها لا تباع إلاّ بناءً على وصفة طبيب، لكنني أقنعت إيان بأن يعطيها لأجلك. فما الخير في أخٍ طبيب إن لم تفيدي منه؟»

«ما هذا؟» سألت كايت مرتابة، وهي تقلب المغلف بين أصابعها.

«حبوب مهدّئة. ليس فيها سوى أربع، وهي غير مؤذية. وقد أكد لي إيان ذلك. تناولي منها اثنتين في رحلة الذهاب، والآخريين في رحلة الإياب ـ إذا أردت العودة. انتظري حتى تري البيت فربما ترغبين البقاء فيه إلى الأبد ـ وتبدئين حياة جديدة وترمين كل شيء وراء ظهرك.»

كانت ليز تعني بعبارة «كل شيء» مايكل، لكن الأمر كان مختلفاً الآن، ولم يكن الوقت الذي تسمح فيه لأفكارها بأن تنزلق في هذا الإتجاه...

شدّت أصابع كايت بقوة على حقيبتها، فاستفاقت صاحبتها برجّة واحدة لتواجه الحاضر. إذ كان عليها أن تستجمع شجاعتها. فمن السخف أن تجلس هنا تراوح بين الإستكانة والذعر. وخير لها أن تضحي بهذا المقعد وتزجي الوقت بتناول فنجان قهوة.

على بعد خطوات منها كانت إمرأة شابة تقف وبين يديها رضيع، فأومأت إليها كايت، قائلة: «تعالي واجلسي هنا، فحاجتك إلى المقعد أكبر بلا ريب.»

ابتسمت الشابة شاكرة وقالت: «إذا كنت متأكدة...» لكنها تردّدت قبل أن تأخذ مقعدها الخالي.

«تماماً،» أكدت لها كايت. «سأذهب في طلب فنجان قهوة. فهل من شيء أحمله إليك؟»

«هذا كبير لطف منك، لكنني على ما يرام، شكراً، زوجي في مكان ما هناك مع طفلنا الصغير.»

وأنزلت الرضيع ليرتاح في حضنها بطريقة تنم عن

الخبرة. وسألت: «هل لديك عائلة؟» وكان وجهها ينضح بسعادة الأمومة.

«لا.» قالت كايت وهي تنحني لالتقاط حقيبة السفر: «لا، أعيش وحيدة.»

ابتسمت قليلاً وسارت مبتعدة. ثم التفتت التفاتة مفاجئة إلى الإثنين، فرأت الأم تناجي وليدها، الذي ابتسم في وجهها وهو يشعر بالأمان في كنف محبتها حتى في هذا المحيط الغريب الصاخب.

كيف يمكن أن تحس عندما ترزق طفلاً؟ تساءلت كايت فجأة، بإحساس ينزع إلى التوق أو الحسد تقريباً، فأخفته على الفور. أو كيف تشعر المرأة عندما تكون مسؤولة تماماً عن سعادة كائن بشري آخر، وعن بقائه على قيد الحياة ـ كما ستصبح كارول؟

فيما كانت واقفة في صف منتظري القهوة، حوّلت أفكارها عن الأطفال وكارول، وعن صورة الرحلة المخيفة، وركّزتها على ألف شيء وشيء لا بد من ترتيبها قبل موعد افتتاح المتجر الجديد.

وجدت طاولة في زاوية وجلست إليها بعدما اشترت فنجان قهوة وقطعة «كرواسان» محمّرة، وفتحت حقيبتها لتخرج منها ملف المواد الإعلانية الذي حملته معها لتدرسه بتمعن. لقد كانت ليز غير قادرة، على الأقل، على منعها من القيام بشيء مفيد خلال فترة غيابها القسري.

«أوه!»

اصطدم أحد بذراعها، فطارت رزمة الأوراق كلها وسقطت على الأرض تحت الطاولة.

«أوه، هل ما حدث صحيح حقاً؟» وانفجرت كايت غاضبة من جديد، وهي لا تكاد تتطلع حول نفسها لترى من اصطدم بها، وأردفت: «ألا يستطيع من يركض هنا أن يرى ما في طريقه؟»

نهضت عن مقعدها وجثت على ركبتيها، يدفعها قلقها، إلى إنقاذ تصاميم بيتر قبل أن تبلى تحت أقدام العابرين، أو قبل أن يزداد الطين بلّة بإهراق القهوة عليها.

«أنا آسف حقاً، انتبهي، فقد يصطدم رأسك بالطاولة!» التفتت كايت وقد أذهلها الصوت الأجش، وشعرت بيد قوية تضغط على كتفها لمنعها من أن تصدم رأسها بزاوية الطاولة الحادة.

«تعالي، دعيني أساعدك، هذا أقل ما يمكنني.»

جمعت يدان قويتان سمراوان الأوراق بسرعة، ثم امتدت إحداهما لتساعد كايت في الوقوف على قدميها. فمدّت يدها إليه مكرهة، وشعرت بأصابع قوية تطوق كفّها الناعم حين انتصبت واقفة ووجدت نفسها تنظر في عينين رماديتين ضاحكتين.

«آمل ألا يكون قد حصل ضررٌ؟ وأكرر أسفي الشديد، فقد كنت أخرق تماماً فلا عهد لي بتصرف كهذا، أؤكد لك، لكنني كنت مضطراً تفادي الارتطام بشيء آخر، وفي اللحظة غير المناسبة، كما حصل.»

أدركت كايت، حين ابتسم لها الغريب ابتسامة ساحرة، أن كفها ما زالت أسيرة أصابعه، فانتزعتها وقد ارتسم على ثغرها تعبير صارم.

قالت بلهجة فاترة: «أشكرك على المساعدة، لقد عاد كل شيء كما كان.»

قلّبت الأوراق، وضعتها في الملف وأقفلته وأعادته إلى حقيبتها، حين عادت إلى المقعد لترشف قهوتها التي أصبحت باردة.

«ليست لذيذة كثيراً، أليس كذلك؟» علّق الغريب بابتهاج يثير الغضب عندما رأى النفور من القهوة يرتسم على وجهها، ولم يبد عليه ما يوحي بأنه سيغادر للإهتمام بشؤونه. وأضاف: «أنا أتناول بعضاً من عصير الفواكه، لا يتغير مذاقه.»

مدّ يداً طويلة لحمل كأس كبيرة من على الطاولة المجاورة، ولما لم يكن هناك مقعد قريب، جلس على حافة الطاولة بلامبالاة، فأجبرها على نقل فنجانها.

«أنت لا تمانعين، أليس كذلك؟» سألها بلهجة مرحة وأضاف: «إن تجاذب أطراف الحديث يساعدنا في تمضية الوقت. فالإنسان يجد الوقت طويلاً في أماكن كهذه. آوه، بالمناسبة إسمي ألكسندر، لكن أصدقائي ينادونني أليكس.»

تغيرت ملامح ثغره البسام، المنفرج حين تفرست عيناه بفضول في وجه كايت، لكن مزاجها لم يساعده في الإستجابة لهذا الجمال الصارخ. قد تكون وحيدة، وهذا واقع لاحظه ألكسندر بلا ريب، لكنها لم تكن رفيقة طريق يمكن كسب ودّها بسهولة.

برشفتين سريعتين قضت كايت على بقية القهوة، ودفعت بقايا قطعة الكرواسان بعيداً ونهضت. فلم يكن ذلك الشخص صديقاً لها، ولا يبدو أنه سيكون كذلك. وقالت: «أنا ذاهبة الآن، فخذ مقعدي من فضلك، ستجد راحة أكبر.»

انحنت لتلتقط حقيبتها، وهزّت رأسها مودّعة، واستدارت على عقبيها لتضيع في حشود الناس المتماوجة، بعيداً عن المقهى، وتحرمه أي فرصة في تعقبها إذا ما أراد.

حالما ابتعدت مسافة أعتقدتها آمنة، تلفتت حول نفسها فلم تر أثر للغريب ذي الشعر الأسود، وسمحت لنفسها بأن تتنفس الصعداء. كان لديها ما يكفيها للتفكير فيه من دون السعي إلى النجاح في حديث اجتماعي قصير في أحسن الأحوال. وعلى الرغم من أنها صارت على بعد كاف، فإنها لم تستطع تجاهل وخزة الندم الخفيفة. فلم يكن ثمة داعٍ للتصرف بفظاظة. على أي حال بقي بقربها ليمدّ لها يد العون في جمع الأوراق، وكان ذا ابتسامة مغرية...

لكن الأوان قد فات على إشغال النفس بشيء كهذا الآن. وتطلعت إلى لوحة مواعيد الرحلات فاختلج فؤادها ونسيت كل أفكارها التي شغلها الغريب والعينان الرماديتان. فقد نودي على رحلتها في النهاية، ولم يعد ممكناً العودة إلى الوراء من دون التورط في مشكلات كبيرة، ومما كان يثير غضبها، أنها لم تعرف من رتب هذه العطلة لها.

وبخت نفسها بعنف وهي تقول في سرها: «لا تكوني سخيفة.» حين سارت غير متأكدة من أنها تتجه إلى المخرج المقصود. وقالت لنفسها: «إجرعي حبة دواء، إذا كنت مذعورة حقاً، وستنتهي الرحلة قبل أن تعرفي. وفكري في شيء آخر، فكري في الشمس والبحر واليونان التي تنتظرك.»

كان عليها أن تقرّ بذلك، في هذه اللحظة حين أزفت ساعة الإقلاع وكان التفكير بقضاء أسبوعين كاملين، منفردة

بنفسها، يغمرها بهجةً. كانت ستقع في خسارة جسيمة لو أنها رفضت ذلك العرض...

«جميل! نلتقي من جديد، أنت تسافرين إلى أثينا أيضاً، إذاً؟»

بشعور عميق بالقضاء الذي لا يردّ، التفتت كايت لتجد ألكسندر يبتسم لها وقد لازم الإشراق والبهجة، اللذان لا يقاومان، وجهه، ولم تنفع فظاظتها، قبل قليل، في تغيير مزاجه.

«كما ترى.» ردّت بحدة، ثم صمتت بعدما وخزها الشعور بالذنب لتصرفها بخشونة.

«أنا آسفة.» قالت بلهجة صارمة، ثم تركت ثغرها يتحرر من قساوته ليعبر عما يشبه الإبتسامة. وأردفت بسرعة: «أنا لم أقصد... إطلاقاً، نعم، أنا متجهة إلى أثينا. ومنها إلى مكان آخر.» وكانت تنوي تلافي محاولته الإدلاء بأي أفكار غير مرغوب فيها.

كانت تهم بفتح حجيرة الحقائب فوق مقعدها، لتضع فيها حقيبتها، عندما سمعت صوتاً يأتي من ورائها، صوتاً لم تكن في حاجة إلى الإلتفات لتعرف صاحبه.

«أنت هنا، دعيني أساعدك، فهذا أسهل عليّ. أنا أطول منك.»

«شكراً، أستطيع تدبّر أمري تماماً.» أكدت له كايت بفتور: «أنا معتادة السفر وحيدة.»

دفعت حقيبتها إلى داخل الحجيرة وتركت مصراعها ينغلق، لكي تراه يفتحه ثانية ليضع حقيبته.

«لا حاجة إلى ضرب رأسي.» قال الغريب، المدعو

ألكسندر بلهجة مسامحة: «كان ذلك عرضاً، قدمته بلطف كما أؤكد لك. لم أكن أحاول أن أطعن بقدرتك على الاهتمام بنفسك. على أي حال، لا بد لي من المرور بقربك للوصول إلى مقعدي هناك، لو سمحت.»

مما أثار جزع كايت أن المقعد، الذي أشار إليه، كان بجانب مقعدها، والأوسط بين المقاعد الثلاثة في ذلك الصف.

علّق ألكسندر قائلاً بلهجة لا تنم عن الإعتذار: «أنا آسف، يبدو أنك ستلتصقين بي في هذه الرحلة.» وعندئذٍ تحوّلت ابتسامته إلى تكشيرة وهو يريح قامته الفارعة في المقعد.

«أقزام صمّموا هذه المقاعد، أليس كذلك؟ حمداً لله، أننا متجهون إلى أثينا وليس إلى هونغ كونغ.»

كانت لدى كايت أسبابها الخاصة، لا علاقة بينها وبين حجم قامتها، لتتمنى أن تقصر مدة الرحلة قدر ما يمكن، وعندما كان ألكسندر يتحدث إلى جاره، نقبت في حقيبتها بحثاً عن حبة الدواء المهدىء التي احتفظت بها للحظة كهذه، والتي تمنّت من كل قلبها أن تذهب بها إلى عالم بعيد طوال الرحلة.

كان بعض التوتر يرتسم على وجهها بوضوح، برغم قرارها الشجاع، حين التفت ألكسندر نحوها مبتسماً بعطف.

«ليس ثمة ما يدعو إلى القلق، كما تعرفين. فأنا أقوم بهذه الرحلة مرة في الشهر، على الأقل.»

ألا يفوت على هذا الانسان أي شيء؟ فكرت كايت، وقد تفاقم انزعاجها عندما نظرت إليه بعينين باردتين.

«لست خائفة.» قالت بلهجة غير ودية، ثم أضافت بعدما لاحظت حاجبيه الأسودين يرتفعان قليلاً: «أعرف أن ذلك ليس منطقياً، وهذه الآلات آمنة مثل البيوت التي تضرب الأمثال بها، لكن إذا كانت هناك طريقة أخرى للطواف حول العالم...»

عندئذٍ هزّت كتفيها غير مبالية وأسندت ظهرها إلى المقعد وأغمضت عينيها. لقد اعترفت بأكثر مما ينبغي لهذا الرجل. وقد يفهم الآن من هذه الحركة، أنها تريد وترغب في تركها بسلام، برغم ما يبدو عليه من قلة الذوق والاحساس. قال لها بمرح: «وأنت تجلسين بجانبي، لن تحتاجي إلى هذه الحبة، التي ما تزالين تمسكينها لطرد الأفكار المقلقة من رأسك. فقد تسحرك محادثتي، بشدة، فتتمنين أن تطول الرحلة مرتين.»

«أشك في ذلك.» تمتمت عبر أسنانها المطبقة، وأردفت وهي تلتفت إليه وترمقه بنظرة توخت منها أن تجمّد الكلمات في حنجرته: «اسمع، لا أريد أن أكون فظة...» أحست بحرارة تصفع وجنتيها، حين رأت حاجبيه الأسودين يرتفعان ببطء فوق عينين فضوليتين: «... لكنني أفضل حقاً أن أختار صحبتي. لديّ الكثير مما أفكر فيه الآن، وكما رأيت، أنا أكره الطيران. وكل ما أريده هو أن أغيب عن كل ما حولي إلى حين وصولي إلى المكان المقصود.»

رمقته بابتسامة مشرقة، ثم أدارت رأسها عنه وأغمضت عينيها. ولم يكن بإمكان أحد بلا ريب، حتى هذا الرجل المتطفل الملحاح الذي دفعته الأقدار إلى طريقها، ألاّ يفهم هذه الرسالة؟

مما هدأ روعها أنه بدا كمن فهم، فلم يحاول حملها على محادثته، واستطاعت أن تدفن رأسها في روايتها البوليسية خلال الإقلاع من دون أن يقاطعها من جديد؛ وبعد مدة قصيرة رأت عضلاتها المتوترة تسترخي فعلاً، وانبسطت أناملها في حضنها، حين أصلحت من جلستها لترتاح أكثر في مقعدها. غمرها شعور مطمئن بالدفء من تلك اليد التي ضغطت برفق على يدها، وأدركت أنه كان عليها أن تتحرك، لكنها كانت شديدة النعاس، وحين تدلّى رأسها ابتسم الرجل الجالس بجانبها.

استفاقت كايت، كمن تلقى وخزة، حين أعلنت المضيفة وصول عربة الشراب.

ما كدّرها أنها وجدت رأسها يستند إلى كتف ألكسندر، واستقامت في جلستها، تتحداه أن يعلق، متهكماً على وضعها، لكن كل ما سمعته كان صوتاً رقيقاً يسألها عما إذا كانت تشعر بتحسن أفضل.

أجابته باختصار: «نعم، شكراً.» وبحثت في حقيبتها عن مشط ومرآة. وكما كانت تخشى، وجدت نفسها شعثاء الشعر، محمرة الخدين. وبدا عليها الإكتئاب حين أصلحت مظهرها، بأفضل ما استطاعت وتسرح شعرها إلى ما وراء أذنيها وتصبغ شفتيها بأحمر الشفاه.

قال ألكسندر بإطراء: «جميل جداً. ولا تحملقي بي ثانية. فهذا ليس في مصلحتك.»

انحنى إلى الأمام، يرمقها عن كثب، ووجدت كايت نفسها تحملق في عينيه مباشرة، غير قادرة في هذا المكان المحدود على تفادي حملقته السابرة الأغوار بلطف ومرح.

«هل أنت سريعة الغضب دائماً يا آنسة...؟ هل تعرفين أني لا زلت أجهل اسمك.» والتفت بسرعة إلى يدها اليسرى. «أنت آنسة أليس كذلك؟ أو أنت سيدة؟» قال مبتسماً.

«آنسة.» قالت له كايت بتنهيدة تفضح غيظها: «الآنسة كايت بنواردن.»

«آه.» هز ألكسندر رأسه بارتياح ظاهر. وأضاف: «حسناً يا آنسة بنواردن، هل أنت؟»

«أنا ماذا؟»

«سريعة الغضب دائماً ـ هل تفضلين أن أقول مستقلة؟ وهل هو السفر الذي يحيي فيك شعور الرفض النسوي، ويجعلك لا تقبلين عروض المساعدة أو تجاذب أطراف محادثة مهذبة ـ فليس لدي شيء سوى اللطف، أؤكد لك.»

للحظات قليلة، لمحت كايت في عبارات ألكسندر الواضحة شيئاً يغلفه إبهام رقيق، ثم شعرت ثانية أنه كان محقاً. فلم يبدِ لها سوى اللياقة. حتى تصرفاته كانت خالية من المجاملة، وكل ما فعلته كان مجرّد تجاهل وجوده من دون سبب على الإطلاق.

تمكنت من اصطناع ابتسامة باهتة. وقالت بلهجة حادة: «أنا آسفة، لم أقصد أن أكون فظة. وليس لدي مشكلات شخصية، لكن أفضل أن أبقى وحيدة الآن. فقد عرفت أنني لست من أشجع المسافرين...» توقفت عن الكلام، ثم تابعت وقد رفعت كتفيها غير مبالية: «لدي أشياء أخرى في رأسي، ولست في حال نفسية تسمح لي بالإبتهاج.»

لم يسمح وصول عربة الشراب لألكسندر بمتابعة هذا النقاش، والتفتت كايت على مهل لتتحدث إلى المضيفة،

لكن ألكسندر سبقها إلى الكلام قبل أن تفتح فاها تقريباً. قال، بلهجة تنم عن سلطة آسرة حبست أنفاسها: «ستشاركني السيدة في قنينة شراب. وأنا واثق من أنك ستعثرين على واحدة مبرّدة...؟»

ابتسمت المضيفة وقالت: «بالطبع يا سيدي، إذا انتظرت دقيقة واحدة؟»

سأل ألكسندر كايت بهدوء، متجاهلاً تعبير الغضب الذي أثاره تصرفه المتعالي: «ترغبين في الشراب كما أتصور؟ وأعرف أنه أقوى المهدئات فعالية، والطريقة الوحيدة للشروع في قضاء العطلة. وأنت في عطلة كما أفترض ولست في رحلة عمل؟»

«أجل.» أجابت كايت وتنهّدت مستسلمة وقد عرفت أنها هزمت ـ ولو إلى حين على الأقل: «إنني في عطلة وأحب الشراب. أشكرك جزيل الشكر.»

قدمت المضيفة إليهما كأسي الشراب، ورفع ألكسندر كأسه إلى كايت قائلاً: «نخب عطلة سعيدة.»

قبلت كايت أن تشرب النخب، واستندت إلى ظهر كرسيها لتتمتع بمذاق الشراب، وارتفعت معنوياتها كما وعدها ألكسندر من قبل، وأدركت ذلك بحزن، وعندما مال إلى الوراء ليحدق من خلال النافذة، وجدت كايت نفسها تتمعن فيه من تحت أهدابها التي أطبقتها عمداً. وحين كانت تراقبه، مرّ أمام ناظريها شبح مايكل ليحجب عنها الرأس الأسود الشعر، الذي أشاح عنها، ليخفي العينين الرماديتين الضاحكتين اللتين تنفحان فتنة وسحراً ـ فتنة جعلتها في موقف حرج بلا ريب.

كم كان مختلفاً عن مايكل. فحتى أعز صديقة لديه، حتى هي، لم يمكنها أن تراه فاتناً.

كان مايكل واثقاً من نفسه، مستبداً، ينزع إلى السيطرة أيضاً، وقد حاول في البداية، هو الآخر، أن يتظاهر بالرقة والإباء، تذكرت كايت بحزن... وقد أحب أحدهما الآخر، ولا سبيل إلى إنكار هذا الواقع مهما كانت رغبتها في ذلك. إذاً ما الذي جرى على غير ما يرام؟ وكيف استطاع أن يخونها بذلك الأسلوب الفظ، فأقام علاقة مع فتاة أخرى وهو لا يزال خطيب كايت؟ وينوي الزواج منها؟

وتحركت أصابع يدها اليمنى عفوياً لتطمئن إلى وجود خاتم مايكل ذي الماسة، لكنها لم تجد شيئاً بالطبع. لقد كانت أصابع يدها اليسرى خالية، ولم تحمل أي أثر لخاتم الخطوبة الذي أحاط بإصبعها الرابع لوقت طويل، ثلاث سنوات وأربعة أشهر كما أنباتها ذاكرتها.

انقبضت كفّاها وتغضن حاجباها بتأثير غضب حارق. لا، يجب ألاّ تفكر بذلك، حتى مجرد التفكير، قالت لنفسها معاندة. فيجب أن ترمي ذلك وراء ظهرها، وليس هذا وقت الاكتئاب بأي حال.

أخذت رشفة أخرى من الشراب، وعادت عيناها تركزان على رأس ألكسندر، الأسود الشعر، الذي كان لا يزال مشيحاً عنها وهو يتكلم مع جاره الآخر الذي بدا وكأنه يشير إلى مَعْلَم من معالم الأرض من على ارتفاع أميال.

شَعر فاحم السواد كهذا، فكرت على مهل، يبدو غزيراً ومفعماً بالحياة وهو يتجعد حول رقبته القوية. فهل يمكن أن يكون يونانياً؟ فهناك لكنة في صوته العميق، لكن هاتين

العينين الرماديتين ـ بلا شك، لا تمتّان إلى الأصل المتوسطي بصلة.

امتدت يده السمراء على فخذه وهو ينظر من خلال النافذة، وشعرت كايت على الفور برغبة جامحة تتملكها للوصول إليها لتغطيها بيدها.

انكمشت مذعورة في مقعدها. أي تفكير هذا؟ من المستحيل أن تتورّط في علاقة مع أي رجل آخر، وعلى الأقل هذا الرجل. ولا بد أن يكون عملها هو محور حياتها الآن، وسيبقى كذلك. فهي لم تخلق للحياة الرومانسية أو الحب. فلم يحاول مايكل تلطيف عباراته عندما قال لها ذلك.

مما أخافها أن رأت عينيها تغرورقان بالدموع، فخفضت رأسها لتمسحها بسرعة. وكان آخر ما تريده، أن يراها هذا الرجل المدعو ألكسندر تنوح. لكنه كان مشغولاً بالنظر إلى الأرض ولم يلاحظ شيئاً، واستطاعت كايت أن تستجمع قواها عندما حان وقت تقديم وجبة الطعام.

دعاها ألكسندر قائلاً: «تناولي مزيداً من الشراب» وملأ كأسها حتى قبل أن ترفض الدعوة أو تقبلها: «ستجعل الطعام لذيذ المذاق على الأقل. فلا يمكن وصف طعام الخطوط الجوية بأكلات العمر إلاّ بشق النفس. أليس كذلك؟»

ضحكت كايت على الرغم مما في نفسها، ورأت حاجبي ألكسندر يتغيران بانذهال خادع.

«لقد ضحكت، يا آنسة بنواردن، لا بد من وجود شيء غير الشراب في هذه القنينة يروق للعين. هل أنتِ متأكدة من أنك تشعرين بالراحة ـ ألست مخبطة جداً؟»

أخذ رشفة من كأسه وهزّ رأسه بطريقة من يدرك جوهر كل شيء وقال: «يبدو لي مذاقها طبيعياً تماماً، لكن شيئاً حصل لك. ولا بد أن السبب هو الإرتفاع.»

هزّ رأسه وغمس ملعقته على غير رغبة، في صحن فيه طعام زهري اللون، زاهٍ يسمونه تاراماسالاتا.

تنهّدت كايت وبدأت بتناول وجبتها. وقالت: «سألتني عما إذا كنت سريعة الغضب ونزقة، فهل يمكنني أن أسألك شيئاً؟»

«أيّ شيء؟ سلي ما تشائين، يغمرني سرور لا يوصف عندما أسمعك تتحدثين إليّ.»

«هل أنت هازل دوماً؟ ألا تكون جدياً أبداً؟ لا بد أن يكون مرحك سبباً لإرهاق أصدقائك.»

«هازل؟ أنا لست هازل. فما الذي أوحى إليك بهذه الفكرة يا آنسة بنواردن؟ ظننت ببساطة أنك في حاجة إلى الإبتهاج، لكن إذا كنت تفضلين، يمكنني أن أناقش معك أخلاقيات علم الهندسة الوراثية أو العودة إلى يونان منحوتات إيلجينز. أو ربما أثير اهتمامك بوجهة نظري بشأن انحدار صناعة السينما؟ فما عليك سوى أن تحددي.»

تناول بعضاً من السلَطة ووضع الشوكة على الطبق، بتعبير ساخر عن القنوط عندما التفت ثانية نحو كايت.

«حتى يمكننا أن نتحدث عنك يا آنسة بنواردن.» اقترح بلهجة رقيقة، «فما الذي يحملك إلى أثينا وما بعدها وحيدة؟»

تنهّدت كايت، وهي ترفض محاولة جرّها إلى الكلام: «تتطرق إلى الموضوع نفسه ثانية. أنت لست جاداً حقاً، فليس دأبك سوى الهزء بي.»

هزّ ألكسندر رأسه نافياً: «لست كذلك، لكنك لم تمانعي لو كنت أمزح، أليس كذلك؟ وتظنين أنك لم ترغبي، لكن لم تفعلي شيئاً آخر.» وعندئذٍ مدّ رأسه ليراقبها عن كثب ثمّ هزّه علامة الرضى.

«لقد ذهبت هذه النظرة المتوترة، التي كانت تأتي من داخل عينيك، واختفت الخطوط الصغيرة المجهدة، التي كانت هنا، منذ لحظات...»

لمست أصبعه جبينها ما بين حاجبيها ثم سحبها بسرعة. هكذا مرّت لحظة الخطر المحتمل، وتركت كايت تحدق مرتبكة إلى الطبق الذي أمامها. كان يجب أن تغضب من ملاطفة ألكسندر غير المطلوبة. وارتاحت لأنها لم تستغرق سوى لحظة، لكنها كانت ستخدع نفسها لو ظنّت أن مجرد غضب العذارى هو الذي جعل نبضات قلبها تتخطى سرعتها العادية.

رأت عيني ألكسندر تطرفان باتجاهها وتعاينان مقدار ردة فعلها، لكنها أبقت عينيها بعزم، مسمّرتين على الوجبة، التي تضاءلت رغبتها في تناولها، وهي تحاول ألاّ تمنحه أي شيء وألاّ تشجعه على القيام بالمزيد. كان لا يزال غريباً في عينيها، على الرغم من التقارب الذي فرضه الظرف، وهكذا كان يجب أن يبقى.

نظرت إلى ساعة يدها وقد سرّت لمعرفة كم انقضى من وقت الرحلة، ولتكتشف بحزن أن ألكسندر ساعدها في نسيان مخاوفها المعهودة. ولم تكن تستمع لتغير ضجيج المحركات الذي ينذر بخطر وشيك، ولذلك كانت شاكرة له صحبته على الأقل. وشعرت بالأسى لأنه لن يكون معها في الرحلة القصيرة من أثينا إلى كالاماتا

«أوه، لا!»

نهضت كايت دفعة واحدة وكادت تهرق القهوة التي قدمتها إليها المضيفة للتو، فجعلت ألكسندر يلتفت إليها حائراً.

«ما خطبك؟ هل تذكرت الآن أنك نسيت شيئاً؟ أو ربما بعضاً من أوراق مهمة؟»

هزّت رأسها بعنف وقالت: «لا، لا شيء من ذلك، وفي أي حال لست...» توقفت عن الكلام ولمّست شعرها بيديها، وأردفت: «ذلك التأخير في المطار قبل الإقلاع...» ولوّحت بيدها يائسة: «سأتأخر عن رحلتي اللاحقة، فالطائرة الثانية ستقلع بلا ريب قبل أن نحط بوقت طويل. فلم يكن هناك سوى ساعة إضافية كما قالوا.»

بدا ذلك كما لو أنه الشعرة التي قصمت ظهر البعير. فهي لم ترِد الذهاب في تلك الرحلة أولاً، ولم يكن من شأن هذه الرحلة أن تزيل الضغوط النفسية التي قالت ليز إن كايت تعانيها، بل أنها ازدادت حدة في اللحظة الراهنة.

كان شيئاً عادياً أن تتغلب على عوائق كهذه. والله يعلم أنها غالباً ما تمكنت من ذلك في حياتها العملية، إذاً لماذا تشعر بهشاشة نفسها المفرطة وعدم القدرة على أن تكون في مستوى الأحداث؟

وضعت ذقنها في كفّها، وعندئذٍ أدركت أن ألكسندر كان يتحدث إليها بلطف هذه المرة، وليس بلهجته المرحة المتعمدة المعهودة.

«لا داعي إلى القلق يا كايت، أنا واثق من أننا نستطيع حجز مقعد في رحلة أخرى، أو تبقين في فندق، وهو ما

يبدو أكثر ملاءمة. قولي لي فقط إلى أين تتجهين، وسأقوم بذلك حين وصولنا إلى أثينا.»

بانت إمارات المعاندة. على جبينها. إذ كانت روحها النازعة إلى الإستقلال تؤكد نفسها، ربما، فاتخذت شفتا كايت تعبيراً صارماً.

«لا، سأكون على ما يرام، أشكرك.» ورمته بابتسامة مشرقة: «إدراكي المفاجيء للتأخر هو الذي زلزلني منذ دقيقة. وكما تقول هناك كثير من الفنادق، ولا يمكن أن تكون مليئة بالنزلاء كلها في هذا الوقت من السنة. سأكون بخير، ولا تقلق عليّ.»

صارت نظرات العينين الرماديتين قاتمة بلا توقّع. وقال: «إن لم تريدي أن تقولي لي وجهة سيرك فلن أمانع. لكن لا سبب يدعوك إلى ذلك، لكنني فكرت أننا لو كنا ذاهبين في اتجاه واحد لأمكنني أن أعرض عليك نقلك، وهذا كل شيء. سأتجه إلى الجنوب، إن كنت في حاجة إلى شيء؟»

لم تُرِد كايت أن تقول لألكسندر شيئاً كاذباً، لكنها لم تستطع، لسبب مجهول، معرفة ما إذا أرادت أن تقول له إنها متجهة جنوباً أيضاً من أثينا. وعلى أي حال، كانت كلمة جنوب مبهمة، ولم ترغب في أن تسمح لاندفاع ألكسندر الشهم أن يحيده عن طريقه.

كان ذلك على الأقل، العذر الذي قدمته إلى نفسها كلما رفضت عرض المساعدة.

أكدت له من جديد: «سأكون على ما يرام حقاً. كان لطفاً كبيراً منك أن تعرض نقلي، لكنني واثقة من أن الأمور ستجري كما أريد، حتى لو لم أجد رحلة في يومين، إذاً

أستطيع قضاء الوقت في زيارة أثينا، ألا يمكنني؟»

تسمّرت عينا ألكسندر على وجهها بطريقة مبهمة للحظة، وشعرت كايت بإحساس غير مريح، إذ كان بإمكانه أن يرى ما وراء مراوغتها وسيعتقد أنها سترفض عرضه بفظاظة ـ من جديد.

«إذا كنتِ واثقة... لكن عرضي ما زال قائماً، حتى هبوط الطائرة على أي حال.»

تغير الجو الهادىء بينهما بهدوء في تلك اللحظة، وفي بقية مدة الرحلة كادا لا يتبادلان سوى بضع ملاحظات عرضية، كما كان شرع ألكسندر في قراءة مجلة، مع أن كايت لاحظت خفية أنه لم يقلّب صفحاتها بأسرع مما كانت تفعل هي، إذ كانت تأمل أن تستغرق قراءتها الكتاب الساعة الباقية من مدة الرحلة ليبقى قلقها النفسي بعيداً عنها.

لم تستطع تخمين ما كان يفكر فيه، ما عدا ذلك الشك الخفي الذي أوحى إليها بأنه يفكر في شأنه مع الفتيات ذوات المزاج النزق ونزعة الإستقلال، اللواتي يصررن على رفض عروض المساعدة حتى لو كانت صادقة.

لو كان نوعاً مختلفاً من الرجال لظنت أنه تراجع في خطوة متحفظة، حتى لو جرحت كرامته. لكن تلك الأفكار كانت سخيفة. فالرجال من نوعه يستخدمون فتنتهم بصفتها سلاحاً، ولو أنها مسّتها بشيء لكان ذلك من سوء حظها. فمن يعلم إلى أين سيؤدي نقله إياها بالسيارة، بأي حال؟

خير لها أن تبقيه على مسافة منها وتذهب في سبيلها، أياً كانت العوائق التي تعترضها فستتغلب عليها بنفسها.

«ستكونين على ما يرام إذاً؟» سألها ألكسندر بعدما حطت

الطائرة وسارا باتجاه مبنى المطار: «ألا تريدين أن أنقلك حقاً؟ ما زال عرضي قائماً كما تعرفين.»

هزّت رأسها بقوة جعلت شعرها الكستنائي يلتف حول وجهها. وقالت: «لا، شكراً. أنا واثقة من قدرتي على تدبر أمري. وأنا معتادة على الإعتناء بنفسي.»

تطلع إليها ألكسندر بعينين فضوليتين وقال: «حسناً، تعرفين خيراً مني ـ لكن هناك شيء يجب أن أقوله قبل أن نفترق...»

توقف عن الكلام واستعادت عيناه ذلك الألق الظريف وأردف: «لا أعرف، لكن يمكن أن تضربيني على رأسي ثانية... لكن ربما يستحق الأمر مجازفة.»

كانا يقفان في الصف أمام شباك التدقيق في جوازات السفر، وقد ألصق حشد المسافرين أحدهما بالآخر، وكان على كايت أن تدير رأسها لكي تتطلع إليه، وفي هذه اللحظة، عندما فات أوان الرجوع عن قرارها، شعرت بندم خفيف لعدم قبولها عرضه بنقلها بالسيارة. وكان عليها أن تعترف في قرارة نفسها بأن تلك الإبتسامة كانت تخفي شيئاً ساحراً، وربما كان غير جائزٍ أن تشك في احتمال اتخاذ مبادرة...

«أعطيك دراخماً مقابل ما تفكرين به؟»

عادت كايت إلى وعيها فجأة. «لا شيء... لا شيء البتة.» وتضرج وجهها بحمرة خفيفة، بتأثير تحديق ألكسندر المستمر. «فماذا يهم، لتقل ما شئت»؟

انحنى ألكسندر فوقها، ومع ضغط المنتظرين من ورائها لم تستطع أن تقوم بأي حركة لتلافي ذلك، لكنها

قابلت تحديقه بعينين زرقاوين جاحظتين تفيضان حدساً.

قال: «بما أنك لم تعودي شديدة القلق ومرتابة ـ إن لم أقل نزقة، فأنت تبدين جميلة جداً يا آنسة بنواردن، لا بل فائقة الجمال.»

عندئذٍ استدار ليقدم جواز سفره إلى المدقق، وأمضى وقته في التحدث إلى المسؤولين في المطار باليونانية بطلاقة، ومما أثار دهشة كايت وحزنها أنه غاب عن الأنظار بسرعة، وسط الحشود المتماوجة في باحة مبنى المطار.

هل هذه هي طريقته في الوداع؟ تساءلت كايت وهي تطوف بحثاً عن أمتعتها. وإن صحَّ ما تصورته لكان أسلوبه مباغتاً. وكانت تتوقع أن يطيل التحدث إليها، إلا إذا كان يتوقع تأنيباً قاسياً منها على مجاملاته.

لم تستطع تجاهل الشعور بالألم، أفلم تكن تستعمل أسلوب الرياء عندما كانت فظة في التصرف معه؟ بأي حال، لا مجال أمامها للتفكير في سلوكه الغريب. إذ عليها الاهتمام بشؤونها وتتحرى عن موعد إقلاع طائرتها إلى كالاماتا أو تعثر على فندق تبيت الليل فيه.

«آه، أنتِ هنا، ظننت أنني أضعتك.» وجعلها الصوت الحميم الذي تناهى إلى أذنها من ورائها تستدير بسرعة.

«ألكسندر! أنت لم تغادر إذاً.»

«ذهبتُ من دون أن أقول كلمة وداع؟ ليس تصرفاً نبيلاً جداً، أليس كذلك؟» تابع كلامه ولم يسمح لها بأن تعلق.

«أخذت على عاتقي إجراء بعض الترتيبات من أجلك، هنا يسود الضجيج، دعينا نجد مكاناً أهدأ.»

أمسك مرفقها بيده وقادها إلى زاوية غير مزدحمة حيث بحث في جيبه وأعطاها قصاصة ورق.

«هذا هو موعد إقلاع طائرتك إلى كالاماتا غداً ليس في الأمر مشكلة. ففيها مقعد شاغر.»

هتفت كايت: «كالاماتا! لكنني لم أذكر أسمها قط...»

«صحيح، لكن حقائبك تشير إلى ذلك.» أشار ألكسندر إلى ورقة التعريف وتابع كلامه ضاحكاً وهو يرى تعبير التأمل على وجهها: «هناك فندق صغير على الطريق وراء المنعطف، إسمه ألكسندروس. ثم تغيرت ملامحه وقال: «آسف لذلك... لكنني... لكنني أعرف المدير على أي حال، الفندق هادىء، ولم أجد صعوبة في حجز غرفة لك، إلاّ إذا كنت ترفضين أن تأتي معي، وتمنعك مزاياك النسوية من قبول الترتيبات التي أجريتها لك...»

أمسك بيد كايت فلم تظهر أي رفض وهزّت رأسها على مهل.

«أشكرك ـ أقصد على حجز غرفة لي. وأشكرك على تقديم الشراب وإشاعة البهجة في نفسي على متن الطائرة. أنا آسفة لأنني لم أكن رفيقة طريق مثالية.»

ابتسمت له، ثم جحظت عيناها غير مذعورة حين انحنى ليطبع قبلة خفيفة على وجنتها.

قال: «لم أستطع مقاومة هذه الرغبة، وبخاصة في هذه الفرصة الأخيرة. لا أعتقد أن طريقينا ستتقاطعان ثانية، إلا إذا قرّر "القدر" اتجاهاً آخر، لكن إذا احتجت إلى أي شيء فهذه بطاقتي. وستجدين دائماً من يعرف مكاني.»

أخرج حافظة نقود من جيب سترته، وعندما فتحها،

لمحت كايت صورة فتاة جميلة سوداء الشعر تبتسم أمام الكاميرا.

وشعرت بوخز خيبة الأمل لوجود فتاة أخرى مهمة في حياته. لكن حالما عبرت ملامحها عن هذه الحساسية النسوية غير السارة تقريباً، أقفل ألكسندر حافظته ثانية. ورأته يعبس، فيما ظهرت غضون عميقة فجأة بين حاجبيه لكنها زالت عندما أمسك بطاقته.

قرأت فيها: «ألكسندر ديميتراكوس.» وتلي ذلك عنوانه في أثينا.

«أتمنى أن تتمتعي برحلة لطيفة ياكايت.» وعندئذٍ أدار ظهره وهو يبتسم وسار ليضيع بين حشد الناس تاركاً كايت وراءه مبلبلة إلى حد لا يوصف.

الفصل الثاني

بدا لعينيّ كايت أن فندق ألكساندروس كان مكاناً أفخم مما أوحت إليه كلمات ألكسندر في وصفه، وكانت غرفتها التي تتصل بغرفة حمام فخمة ترامى فيها سرير طويل يتسع لأكثر من شخص، كما بدا لها، ورأت مذهولة جهاز تلفزيون وثلاجة مليئة بنخبة من القناني تلائم كل ذوق من أية جنسية كان صاحبها.

سألها المدير: «هل لديك كلّ ما تحتاجين إليه؟» ومما أدهشها، أنه قادها إلى الغرفة ليدلها عليها بنفسه. وأضاف: «يمكنني أن أرسل وجبة الطعام إلى غرفتك إذا ما رغبت.»

«لا، شكراً. تناولت شيئاً من الطعام في الطائرة قبل وقت قصير.»

«إذاً في المساء، ربما؟ فالمطعم في الطابق السفلي يفتح السابعة مساءً، وأنصحك بأن تختاري من قائمة طعامنا ـ إلا إذا أردت الخروج؟ في هذه الحالة، اطلبي موظف الاستقبال فيطلب لك سيارة أجرة.»

قالت كايت للمدير إنها ستتناول طعامها في الطابق السفلي، وهو ما جعله يشعر بالرضى، وبعد خروجه شربت كأساً من المياه المعدنية المبرّدة، جرعتها ببطء، وهي غير واثقة مما إذا كان عليها أن تغضب من ألكسندر أو تجامله لأنه حجز لها غرفة في هذا الفندق الباهظ الكلفة، كما اتضح لها.

كيف عرف أنها تريد الإقامة في مكان مثل هذا، أو أن بإمكانها تحمل مصاريفه؟ كان عليه، على الأقل، السؤال عن الأجرة قبل حجز الغرفة، فكرت وهي ترنو إلى نفسها واجمة في المرآة، ثم استرخت. لقد عرف أنها امرأة أعمال، وكانت سترتها، التي تحمل توقيع المصمّم، كافية وحدها لتكشف له شيئاً عن أحوالها المالية، وهكذا جاملها بطريقة مسلية، أدت به إلى افتراض كونها ميسورة الحال وناجحة في العمل وقادرة على دفع أكلاف الإقامة في الفندق.

خلعت ملابسها واستحمّت ببطء، ثم ارتدت روب الإستحمام، المعلق وراء الباب، قبل أن تستلقي على السرير لتفكر في كيفية قضاء الوقت قبل العشاء.

لا مكان تذهب إليه، وقد عرفت ذلك من المسافة القصيرة التي تفصل الفندق عن المطار، وشعرت بنعاس شديد قضى على أي رغبة في ركوب سيارة أجرة إلى أثينا؛ وعلى أي حال، لم تجد ما يبهج النفس في ارتياد هذه المدينة وحيدة.

كيف يمكن لأمة، بنت «البارثينون» أن تصمم مثل هذه الأبنية المروّعة، كتلك التي أحاطت بالفندق وامتدت على طول الطريق إلى أثينا؟ كان ذلك يفوق حدود تصورها. ربما، كان عليها أن تستقل سيارة أجرة، على الرغم من كل شيء، لتستعيد ثقتها بكل شيء يوناني، أو ربما كما فكرت متأنية، كان عليها أن تقبل عرض ألكسندر بنقلها بالسيارة...

رأت من جديد وجهه مرتسماً على جدار الغرفة الأبيض، كما لو أن الأقدار التي رتبت لقاءهما، قررت أن تعبث بهما.

لم تجد سبباً منطقياً وراء شعورها بالتردد الذي جعلها

تتصرف بما لا يناسب. ولو كانت في ظروف طبيعية الآن، لكان عليها أن تتسلق الأكروبوليس وتملأ كل دقيقة من وقت فراغها بنشاط مفيد.

لكن كيف استطاع مجرد رجل غريب أن يؤثر فيها مثل هذا التأثير المقلق، حتى وهو غائب عن ناظريها؟ كانت تعرف أنها لن تلتقيه ثانية، فلمَ لا تكف عن التفكير فيه؟ وإذا كانت تشعر بانحراف شديد في مزاجها، فالسبب ليس الرحلة أو التأخير، فبرغم كل شيء صادفته، كانت تركت البيت باكراً هذا الصباح... فور انقطاع علاقتها بمايكل، ولم تكن قد تفاهمت بعد مع نفسها، بشأن ذلك.

استلقت كايت على السرير وهي تأمل في التخفيف من هواجسها، لكن النوم هجرها حين لاح لها وجه ألكسندر أولاً، ثم مايكل، الذي انطبعت صورته على جفونها، وعادت أفكارها مثل قدر مخيف لا يقاوم، إلى تلك الأمسية المروّعة التي واجهت فيها الرجل الذي ظنت لوقت طويل أنها ستتزوج منه، يعترف لها بعلاقته، طوال أشهر عدة، مع سكرتيرته.

في الواقع، كان مفترضاً في تلك الأمسية أن يتقرر موعد عرسهما، لو لم تتخذ الأمور ذلك المنحى. تأملت كايت بائسة، وهي تحاول أن تمحو من ذاكرتها الكلمات الجارحة التي تبادلاها في سورة غضبهما.

لم تتصور كايت قط أنها ستشعر بذلك القدر من الخزي والغضب في آن.

لقد انفجرت غاضبة: «كيف يمكنك أن تتظاهر بأنك كنت في رحلة عمل إلى ـ أين ـ باريس؟ باريس!» ردّدت الكلمة

بضحكة مريرة: «ما هذه الترهات! ويا له من قناع! كنت طول الوقت تتمتع بصحبة كارول.»

أرسلت عيناها ناراً متقدة. «وتأتي الآن بكل وقاحة، متوقعاً أن أنسى، وأن شيئاً لم يحدث قط، وهو ما تسميه انحرافاً. حسناً، يمكن أن يكون انحرافاً بالنسبة لك، لكنه ليس كذلك بالنسبة إليّ، وأشك أن يكون بالنسبة إلى كارول أيضاً.»

«كارول فهمتني، كما لم تفهميني أنت.» أجابها مايكل ببرود.

استدار ليطوف في الغرفة متمهلاً، وقال: «ما كنت تلتزمين بموعد زواجنا، وما كنت تسمحين لي بمطارحتك الغرام. يا إلهي... كايت، أنا لست قديساً ولا ناسكاً! لي حاجاتي مثل أي رجل، وعندما... كارول...» وتوقف عن الكلام عندئذٍ وخفض عينيه غير قادر على مواجهة تعبير الغضب المحموم في وجهها. ثم أردف: «هناك شيء آخر يجب أن تعرفيه...» ثم كفَّ عن الكلام كما لو كان يتردّد في الافصاح.

«تابع.» قالت له كايت بصوت جاء من غور حنجرتها، وهي تتوقع ما سيقول.

«كارول تحمل ثمرة حبي لها ـ تحمل طفلي.» وبدا تعبير عدم الإرتياح على وجهه، حين أطلق قنبلته من دون خجل، واستدار ليخشخش بالنقود المعدنية في قعر جيب سرواله.

«يجب ألاّ يقلقك ذلك، أليس صحيحاً، لعلي أدركت أنه لا يمكننا تكوين عائلة، وحاولت الاستمرار في الخطوبة لأنني أحببتك، وافترضت أنك سترغبين في تكوين عائلة عندما

نتزوج، مثل أي امرأة عادية. لكن لم تكوني عادية، أليس كذلك؟ فلم توافقي قط على تثبيت موعد لزواجنا ـ زواجك مني ـ لأنك تزوّجت العمل، وأرى ذلك الآن... وآمل أن تكونا سعيدين معاً، أنت ومتجرك.»

انحبس الكلام في فمها من شدة الذهول، فحملقت في وجه مايكل، غير مصدقة ما تسمع، وفي النهاية، انتزعت خاتم الخطوبة ورمته إليه، وهي تقاوم انهمار دموعها.

قالت بصوت خافت: «أعتقد أنه كان خيراً لنا أن يعرف أحدنا حقيقة الأمر قبل فوات الأوان.» وأردفت بصوت أجش من شدة الأسى: «آمل ألاّ تعرف كيف يشعر المرء بالخيانة، كما أشعر الآن، فلا أتمنى ذلك لألدّ أعدائي وحتى لك.»

ارتعد مايكل واختفى صوته بعد ما تهدّج، وفتح الباب ليغادر شقتها وليخرج من حياتها إلى الأبد، وقال: «لم أرد أحداً سواك قط يا كايت، لكنك أجبرتني ـ أجبرتنا ـ على التورط في كل ذلك. وواضح أن لا مكان لي ولأي رجل آخر في حياتك.»

رنّ الوقع المؤلم للتلاسن الأخير في أذني كايت طوال تلك الليلة، وتردد صداه كل يوم حتى كان بإمكانها أن تسمعه الآن بعد شهر، وعلى بعد مئات الأميال.

كيف تمكنت من أن تقرر الزواج من رجل يستطيع ارتكاب مثل تلك الخيانة؟ أما بالنسبة إلى اتهامه الأخير الذي وجهه إليها، فلن تغفر له أبداً. فقد عرف مايكل، وحده دون الجميع، الأسباب التي تقف وراء قرارها ـ الذي لم يتخذ اعتباطاً ـ بعدم انجاب الأولاد. والله يعلم كيف استطاع أن يستخدم ذلك السلاح ضدها؟

أغمضت عينيها بعدما صممت بحزم على إسدال الستارة على ذلك المشهد الذي تدور أحداثه في فكرها، وجلست على سريرها لتنظر إلى ساعتها. فلم تكن في وقت أو مكان مناسبين لتغرق في النواح على نفسها.

لقد حان وقت العشاء بلا ريب؟ وهمت بالنزول لتناول ألذ وجبة يمكن أن تقدم في فندق ألكساندروس، وتحتفل ببداية الجزء الباقي من حياتها بقنينة من أثمن شراب عندهم. حسناً، ربما تجرع نصف قنينة، وابتسمت لنفسها وهي تصعر خدها حين أقفلت باب الغرفة، فلم تكن ترغب في إضافة جديد إلى شجونها.

صحت كايت في الصباح التالي وهي تشعر بانتعاش مذهل بعد أعمق نوم غرقت فيه منذ أسابيع، وكانت ثمة مفاجأة تنتظرها عندما طلبت قائمة الحساب.

«لا شيء تدفعينه يا سيدتي.» قال المدير بابتسامة عريضة: «سدّد ثمن كل شيء. ظننتك تعرفين.»

«أعرف؟ كيف يمكنني ـ فمن دفع الحساب يا ترى؟ لا أحد يعرف بوجودي هنا...» وسكتت برهة ثم أضافت ببطء: «لا أحد، ما عدا...»

أزالت كلمات المدير الغموض من نفسها عندما قال: «طلب كيريوس ألكسندروس ديميتراكوس إرسال الحساب إليه، وتعرفين طبعاً أنه يملك هذا الفندق؟» وتابع كلامه مبتسماً: «واضح أن ألكساندروس رب عمل ذو شعبية.»

ألكسندر... فندق ألكسندروس! كان يجب أن تخمن وجود علاقة بالطبع.

«عرفت.» قالت بصوت من أصابه الدوار، وقد شعرت بأنها أخذت على حين غرة ولا مجال لقول شيء آخر. وأردفت: «سأشكره، كيريوس ديمترياكوس بالطبع، وأشكرك يا سيدي أيضاً على ترحيبكما الحار بي والغرفة الوتيرة التي لا تضاهى، وقد تناولت عشاء لذيذاً حقاً ليلة أمس.»

ابتسمت وهي شبه متضايقة ومذهولة إزاء مراوغة ذلك الرجل. ولو وقع نظرها عليه ثانية لصارحته برأيها بشأن خداعها بتلك الطريقة، لكن تلك الحيلة تركت تأثيراً رفع معنوياتها، وهي في المرحلة الثانية من رحلتها، إلى أعلى مما كانت يوم أمس، وصعدت إلى متن الطائرة بمشاعر أقل ارتعاشاً عندما جلست في مقعدها، وقد خامرها شيء من الأسف لكون جارتها سيدة يونانية مسنّة، وليس ذلك الغريب ذا العينين الرماديتين والشعر الأسود والقامة الفارعة، المدعو ألكسندر، الذي أثار البهجة في مزاجها العليل، وعثر لها على غرفة في الفندق ـ فندقه...

لكن تبيّن لها أن لانفعالاتها معاني أخرى حين رأت بانذهال شديد صورة ألكسندر بقامته الفارعة وهو يقف على شرفة مبنى مطار كالاماتا الصغير ينتظر أحداً بلا ريب، وتدلّ على ذلك طريقته في توزيع نظراته الباحثة في حشد المسافرين القادمين.

لقد جاء لملاقاتها فعلاً، بعدما أصرّت على رفض عرض المساعدة أمس. لكن لِمَ لم يقل لها إنه كان آتياً كالاماتا؟ لكانت قبلت عرضه بنقلها بالسيارة ذاك المساء. لكن لا شيء يشغل البال، المهم أنه موجود هنا.

«أليكس!» صرخت بأعلى صوتها، وهي تقف على رؤوس أصابع قدميها وتلوح بيديها قبل أن تضبط أحاسيسها عندما أدركت مقدار الحماسة التي بدت عليها.

خفضت يدها وشقت طريقها بين جمع الناس الذي يفصل بينهما. ونادته عندما اقتربت منه: «ألكسندر، أنا هنا!»

هل كانت تتخيل، وهل كان ثمة شيء من الدهشة على ذلك الوجه الجميل الذي استدار نحوها؟ لكن كل ذلك تلاشى عندما رأت الألق الهازل يومض في تينك العينين الرماديتين اللتين تركتا في نفسها تأثيراً محيراً قبل يوم.

«هل نمت جيداً، يا آنسة بنواردن؟»

«جيد جداً، أشكرك، لكن...»

«من غير لكن يا كايت. أعرف ما ستقولين ولا أريد أن أسمع.»

«ما الذي لا تريد سماعه؟» سألته كايت بطريقة ساذجة.

«استعدادك للدفع. أعرف...» وبسط يديه في حركة اعتذار سافر، وأضاف: «قد يكون تصرفي ماكراً، لكنك كنت في حاجة إلى غرفة، وأنا أملك فندقاً. لذا... ما كان يمكنني أن أفعل؟»

«كن نزيهاً.» قالت له بمرح.

«لنفترض أنك لم ترغبي في البقاء هناك؟ فما كان بإمكاني أن أضمن أن باستطاعتك تحمل الأكلاف. من فضلك ثقي بخصائلي النبيلة. أعرف أنك تظنيني شخصاً هازل...»

تورّدت وجنتا كايت وقالت: «أنا آسفة، ما كان ينبغي أن أقول ذلك، لم أكن في حال حسنة يوم أمس.»

«هل صرت في حال أفضل اليوم؟»

«نعم، أشكر كرم نفسك...» وتردّدت في الكلام واحتقن وجهها، وقالت: «عليّ أن أعترف بأنني تناولت وجبة باهظة الثمن ليلة أمس. أفلن تسمح لي...»

«مستحيل.» قال لها ألكسندر بحزم وابتعدت عيناه عن وجهها ليستدير نحو الركاب الذين يغادرون الطائرة يبحث عن أحدهم، وأشرق وجهه حين رأى فتاة تقف وراءها.

قال: «الآن، إن أعذرتني ولم تكوني في حاجة إلى أي مساعدة أخرى...»

«أوه... لا! شكراً.» هكذا أخذت كايت على حين غرة، تمنت ألا ينكشف ما تضمر. «إذا لم تكن هي الفتاة التي جاء ألكسندر يستقبلها. فمن هي...؟»

لوحت بتحية وداع إلى ألكسندر الذي كان برغم لياقته الراهنة، مأخوذاً وقلقاً وهو يبحث عن أي من كان ينتظر.

جمعت كايت حقائبها، واتجهت نحو باب الخروج، واستدارت فكاد فؤادها يسقط على الأرض عندما رأت ألكسندر، مشرق الوجه، يسير بسرعة مع فتاة ـ فتاة سوداء الشعر طوقت عنقه بيديها.

تأكدت كايت من أنها لم تكن الفتاة التي رأت صورتها في حافظة نقود ألكسندر. ولم يكن لها شأن مع الفتاة التي عانقها أو مع صاحبة الصورة التي أبقاها قريبة من فؤاده ـ فكم من الحبيبات احتللْنَ مكاناً في قلبه، لكن ذلك الاستقبال كان محيّراً ومقلقاً بأكثر مما أرادت أن تقر به، بعد معرفة عابرة كهذه.

راقبت كايت الثنائي، خفية، والألم يعصر قلبها فكانت يد

ألكسندر مستقرة بارتياح حول كتفي الفتاة، حين جال نظره في المكان وربما كان يبحث عنها، لكن كايت خفضت رأسها وانسلت من الباب إلى نور الشمس الساطعة بحثاً عن السيارة المستأجرة التي تنتظرها كما يفترض.

لم تكن عندها الرغبة في التلصص أو أن تراقب الحبيبين عن كثب. سيكون ذلك مؤلماً. والأفضل أن تتظاهر بعدم رؤيتهما البتة، وتذهب بطريقها، قبل أن يخرجا إلى موقف السيارات.

وجدت سيارتها تنتظرها، وبعد وقت قصير كانت تقودها على الطريق المغبَّر باتجاه بلدة كالاماتا، على طريق شبه جزيرة ماني في الجنوب، حيث يقع البيت الذي ستقيم فيه أسبوعين.

عملت كل ما في وسعها لتنسى خيبة الأمل التي اعترضت رحلتها، ومع ذلك، كانت الضواحي الصناعية لا تلحظ إلا نادراً بفضل جمالها المعماري، وقد نبهتها ليز إلى أن كالاماتا، التي دمر جزء كبير منها زلزال ضربها قبل بضع سنوات، كانت ماتزال في طور إعادة بناء.

قالت لها صديقتها: «انتظري حتى تصلي إلى البيت. سوف ينسيك المحيط الرائع، كل همومك.»

من الأفضل أن يحدث ذلك، فكّرت كايت مكتئبة، فيما سيارة الأجرة تخترق شوارع البلدة الضيقة، ووجدت نفسها بعد وقت تقود في ممر شديد الإنحدار، في طريق انتشرت على جانبيها مقامات الأولياء التي بنيت لأغراض يعرفها الجميع.

بدأت معنوياتها تتحسن حين اتخذت الطريق وجهة أقل

خطراً، مخترقة بساتين الزيتون، لتؤدي إلى شوارع القرى الضيقة التي بنيت منازلها بالحجارة، وتعانق الشاطىء، وأصبح البحر رفيق طريقها وهي تتجه جنوباً.

ارتفعت قمم الجبال على الجانب الآخر، جرداء، هادئة، وغير مأهولة، وقد تربَّعت على أحداها كنيسة طليت جدرانها بالكلس، يقصدها الزوار في المناسبات وتطل على البحر من عليائها. وفي الجانب المقابل امتدت سهول انتشرت فيها الحجارة، تتصل بمياه البحر الأبيض المتوسط، التي تتألق زرقاء صافية تحت شمس نهاية الربيع وتغري كايت بالتوقف لتمتع عينيها بمرأى المنظر الجميل.

وعدت نفسها قائلة: لاحقاً. فالآن لا بد من متابعة السير. وسيكون متسع من الوقت لارتياد المنطقة في الأسبوعين المقبلين. وفجأة شعرت، عندما ضغطت على دواسة البنزين، بنوع الترقب القلق يخامرها، وهي تتوقع ما ينتظرها من متع. ستذهب حيثما تشاء، وتأكل كل ما يلائمها.

ـ أو لا تأكل شيئاً إن لم تكن جائعة. ستنام الليل كله، أو تحييه ساهرة، وتفعل كل ما يروق لها، هي كايت بنواردن، لأول مرة في حياتها تقريباً، وعرفت ذلك بما يشبه الصدمة.

حتى أن مايكل بدا لها بعيداً جداً وفي صورة إنسان غير مهم، أما بالنسبة إلى العمل، ففضلاً عن إجرائها مكالمتين هاتفيتين للتحقق من أن كل شيء يسير على ما يرام، فإنها ستنهي كل ما يتعلق بالمؤسسة. لقد حلت هنا لتمتع نفسها، ولن تفعل سوى ذلك.

• • •

أما المنزل، فقد أكد كل توقعاتها عندما رأته، وكان خلاباً كما وصفته ليز تماماً.

ككل المنازل الأخرى في المنطقة، كان مبنياً بحجارة رمادية جمعت من الأرض المحيطة، يقع في نهاية درب يتجه من الشاطىء، مخترقاً كروم الزيتون، مارا بسفوح الجبال التي شكلت ما يشبه العمود الفقري لشبه الجزيرة.

كان هناك، كما رأت عيناها، قرية على الجانب الآخر للطريق الرئيسية فيها كل ما يحتاج إليه المرء من أشياء يومية، توارت وراء منحدر، وعندما نزلت كايت من السيارة ونظرت في ما حولها لم تجد أي بناء في مدى النظر.

أحاطت بها الأشجار ونباتات الثمار البرية التي كان بعضها مزهراً، وتراءى لها من بعيد، من خلال الأغصان، البحر أزرق متألقاً.

شعرت ببقايا التوتر الذي اعتراها تنزلق عن كاهلها مثل معطف بالٍ، ومدّت يديها نحو الشمس كأنها تشكرها.

تمتمت: «يا لهذا المكان، يا لهذا المكان الرائع الكامل الفتنة.»

وقفت لدقائق عدة تعبّ النسيم العليل النقي غير راغبة في التحرك لئلاّ تعكر صفو المكان من حولها؛ وعندئذٍ، استدارت وهي تتنهد بأسف، وقادتها خطاها إلى داخل البيت تحدق في المكان ببهجة.

كان منزلاً كبيراً، وسط مزرعة قديمة، لا بد من أن بانيه كان على قدر كبير من الخيال حتى استطاع الاستفادة بذكاء من اتساع المكان والضوء، ليعطي انطباعاً بأن البيت

كان أكبر مما هو حقاً، فيه غرفة جلوس احتلت حيزاً كبيراً من الطابق الأرضي، ومطبخ نظيف حسن التجهيز يفصله عنها ممر مقنطر.

كانت جدرانه بيضاء ناصعة، وعلى أرضه بُسطت سجادة، أضفت عليها ألواناً زاهية هنا وهناك. وكان الأثاث مختاراً بعناية، روعي فيه اتساقه مع تصميم البيت وتأمين الراحة.

في الطابق العلوي كانت ثمة غرفتا نوم تتسع كل منهما لشخصين، وغرفة استحمام. وجدت فيه كل ما يتمناه أي راغب في قضاء عطلة أسبوعين في جو رومانسي. قالت كايت في سرّها، وهي تفرغ محتويات حقائبها وتشكر نجوم سعدها أو الأقدار لأنه كانت لليز صديقة تزوجت من يوناني اشترى هذا البيت المنعزل ليبقيه بمثابة قاعدة يأوي إليها في وطنه الأم.

ولم يكن الزوجان يريدان السكنى في البيت في هذه الفترة من السنة.

وقعت عينا كايت على ملف المواد الإعلانية الذي حملته لدراسته، وفيه الأوراق التي سقطت في كافيتيريا المطار قبل قرون عدة، والتقطها ألكسندر...

تنهدت. فَلِمَ جمعتهما الأقدار بطريقة قاسية في هذه اللحظة بالذات، بينما قررت ألاّ تقيم أي علاقة مع الرجال - أياً كانوا؟ عندما دغدغها شعور زائف بالأمان، أما فتنته وكرمه، فتجد نفسها مولعة... لا لم يكن ذلك عادلاً، لم يكن عادلاً بكل بساطة، قالت لنفسها عندما أقحمت الملف في الحقيبة. فلديها الوقت الكافي لتمعن في الأمر عندما تستقر

ـ على الرغم من أن كان عليها أن تتصل بليز هاتفياً لتعرف ما إذا كان بيتر يتابع العمل على الرسوم البيانية، لتريح هواجسها وتفكر في شيء آخر ـ فضلاً عن محاولة طرد تينك العينين الرماديتين من ذاكرتها.

قد تكون اللحظة الراهنة أفضل وقت لإجراء المكالمة. إذاً، فأين الهاتف؟

لم تقضي كايت وقتاً طويلاً في البحث لتكتشف عدم وجود هاتف، وبرغم أنها قررت بحزم أنها أتت لترتاح وصممت على الإتصال في اليوم التالي من القرية، فلم تستطع تلافي شعور الإنزعاج. إنها لم تكن معزولة عن أعمالها من قبل قط. فماذا لو اتخذت الأمور منحى خاطئاً؟ فكيف ستتصل بها ليز؟

مضت في خاطرها فكرة، مؤداها أنّ ربما اقترحت عليها ليز المجيء إلى هذا المكان لتكون في منأى عن الناس، قبل أن تأمر نفسها بالإقلاع عن الإحساس بشعور الإضطهاد. فلن يحدث أي خطأ بالطبع. ولا بد أن تنسى كل شيء بشأن العمل وتمتع نفسها. كانت أشعة الشمس تسطع؛ فماذا كانت تنتظر؟

بحلول الوقت الذي هجعت فيه كايت ذلك المساء، في ساعة تراها مبكرة لو أنها في لندن، لقد أحبت القرية الصغيرة الوديعة قرب البحر، بمينائها الصغير وحاناتها البسيطة التي تمتعت في إحداها بغداء استمر حتى وقت متأخر. وكان فيها متجر كبير، كما بالإمكان شراء السمك من القوارب طازجاً، وفق ما قيل لها، إذا ما استفاقت في وقت مبكر.

قالت لنفسها وقد خدر النعاس عينيها، غداً. ففي اليوم التالي ستذهب في نزهة طويلة على طول الشاطىء الصخري إلى القرية المجاورة حيث اكتشفت، في أحد الكتب السياحية على رف في الطابق الأرضي، صورة كنيسة بيزنطية ازدانت جدرانها برسوم جصية رائعة. أو قد تستقل السيارة وتسير بعيداً في الحقول لتزور أريوبوليس... بعد أن تتصل بليز هاتفياً بالطبع...

لكن كايت لم تشعر في الصباح التالي إلاّ برغبة في التكور على كرسي أو على السرير، تقرأ كتاباً لا يحتاج إلا أدنى جهد عقلي.

لم تكن قادرة على تكلّف عناء الذهاب إلى القرية لإحضار الخبز الطازج من أجل الفطور، برغم قرارها في الليلة السابقة القيام بنزهة يومية، تختمها بحمل رغيف خبز من الفرن وهي في طريق العودة إلى البيت. وبدلاً من ذلك، تسكعت متكاسلة حول المنزل، وليس في وسعها سوى استجماع طاقتها لتحضير غلاية قهوة، ومن ثم استرخت على كرسي تحمل فنجاناً منها، سعيدةً لعدم اضطرارها إلى بذل مزيد من الجهد.

«شيء سخيف.» قالت لنفسها، بعدما مضى نصف فترة الصباح من غير أن تلاحظ: «ها أنت هنا، يا كايت بنواردن في هذه البقعة الجميلة، واليونان كلها تمتد أمام ناظريك تنتظر زيارتك وأنت لا تحركين ساكناً ما عدا نومك هنا حتى من غير هندام، تحدوك رغبة في العودة إلى السرير، فهيا، استحثي نفسك.»

ابتسمت خجلة من نفسها حين وقفت على قدميها. فهي

تحدث نفسها الآن، أليس كذلك؟ ورأت في ذلك أول إشارة إلى جنون ينتظرها، لكن لا، لن تقع في قبضته، لم يحن الوقت، وبخاصة في هذا المكان. وهزّت رأسها، ثم أغمضت عينيها لبرهة حين شعرت بألم يخترقها، فما كان خطبها؟ حتى أنها شعرت برجليها ثقيلتين كالرصاص حين أجبرت نفسها على ارتقاء الدرجات.

لا بد أنها كانت تعاني الآثار المتأخرة لسفرها وتجتمع مع الضغوط النفسية التي أرهقتها في العمل ـ فضلاً عن المتاعب الأخرى ومعظمها شخصي. لا بدّ أنها كانت مجهدة أكثر مما ظنّت.

ارتدت ملابسها على مهل، وقررت الذهاب في نزهة بالسيارة على طول الشاطىء. وكان يمكنها إرجاء نزهتها إلى يوم آخر، فلم تحسّ بأنها ستتمتع بالرسوم الجصية الدينية كما يجب، وبخاصة في هذا اليوم، وقد اختلطت الأمور في رأسها.

انطلقت في سيارتها وارتقت طريقاً غير لولبي تعرفه جيداً، على جانب الجبل. كان يمكن لكايت أن تصل إلى المكان المقصود بلا صعوبات، لكن التشوش في رأسها كان يزداد مع كل تبديل في ناقل السرعة، ومع كل التفاتة إلى البحر الذي يغسل أقدام الصخور التي كانت تتسلقها باتجاه صاعد حاد أصابها بالدوار، مما جعلها تطرف بعينيها وتنحرف بطريقة خطرة إلى حافة الطريق غير المحمية بحاجز.

هذا لا ينفع، قالت لنفسها وهي تحاول جمع شتات تركيزها المبلبل. لا بد أن أجد مكاناً انعطف فيه وأعود إلى

البيت قبل أن يبني أحد مقاماً آخر لولي، بجانب هذه الطريق.

رأت أمامها فسحة تكفي لانعطاف السيارة حول نفسها كما فكّرت. وانطلقت كايت نحوها، ثم خففت سرعة السيارة فتوقفت وشدت الكابح اليدوي ثم ترجلت. وعندئذٍ شعرت بصدمة قوية رمتها إلى الأمام وأظلمت الدنيا في عينيها.

بعد وقت، لم تعرف كايت طوله، استفاقت وقد شعرت واهنة بيدين تلمسانها، يدين قويتين ترفعانها بعناية وتضعان رأسها على شيء وثير، فيما سمعت صوتاً حميماً يهمس بكلمات مطمئنة في أذنها.

ثم شعرت بأنها تتحرك وتتلوى وتهتز... ثم غابت عن الوعي مستسلمة برضى للغيبوبة وتريحها من الإرتجاج المؤلم في رأسها.

عندما فتحت عينيها في النهاية بحذر، ذهلت كايت لما وجدت نفسها على سرير في غرفة غريبة عنها، ظلّلتها ستائر مسدلة، فلم تستطع رؤية شيء مما يحوطها.

لكن كان ما يكفي من الضوء لتعرف أنها ليست وحيدة. ففي الركن البعيد رأت صورة فتاة تقرأ كتاباً على ضوء مصباح. هل هي ممرضة؟ هل هي في المستشفى؟ تساءلت. لكن الغرفة لا تشبه جناحاً في مستشفى، وفيها أثاث منزلي. فأين هي يا ترى...؟

جهدت كايت لتتخذ وضع الجلوس، فما كادت تأتي بأول حركة حتى وقفت الفتاة على قدميها.

«لا، لا.» قالت بصوت فيه رنّة رخيمة خلاّبة: «يجب ألاّ تتحركي، اطلبي ما تريدين وسأحضره لك.»

أعادت يدان قويتان رأس كايت إلى الوسادة، حيث همدت وهي تتنهد وتقطب جبينها حين رأت ذلك الوجه الباسم الذي ظلّلها – وجهاً رأته في مكان ما ولا ريب.

عندئذٍ أدركت كلّ شيء. هذه الفتاة هي التي التقاها ألكسندر بعد نزولها من الطائرة الآتية من أثينا، وعانقها.

سألت كايت مضطربة: «أين أنا، وكيف وصلت إلى هذا البيت؟»

«ألا تتذكرين؟ لقد عثر عليك ألكسندر، وقد وقع حادث لسيارتك. ولم تصابي بجروح خطرة، لكنك سقطت خارج السيارة.»

وضعت كايت يديها على رأسها وهي تشعر بتشوش شديد، وقالت: «لا، لا أتذكر أي شيء.»

«لا يهم.» طمأنتها الفتاة بابتسامة لطيفة: «ستكونين على ما يرام إذا ارتحت.»

مضت كايت تسأل: «وهل هذا بيت ألكسندر؟»

«أجل وبيتي أيضاً.» أضافت الفتاة بصوت مرح، وهي غير مدركة تأثير كلماتها على عزيمة كايت: «لكن لا تأبهي بشيء من ذلك. ربما ترغبين في كأس من الشراب؟ فالطبيب قال إن لا ضير في ذلك.»

«الطبيب؟» ردّدت كايت بصوت يشوبه الاضطراب: «لم يفحصني أي طبيب، فما كان ممكناً أن أغيب عن الوعي.»

أسرعت الفتاة، التي ظنتها كايت زوجة ألكسندر تطمئنها. وقالت باسمة: «لا، ليس الآن، سيأتي لاحقاً ليتحقق من عنايتي الصحيحة بك وقد اتصل ألكسندر به ليخبره بما حصل. وكنت محظوظة بوصوله إليك بسرعة،

فأين كنتِ...؟ لا، سنؤجل الشرح. فارتاحي الآن.»

مدّت يدها إلى ما وراء رأس كايت وأسندته بوسادة ثم جرعتها بعض الماء، وأصلحت من وضع الوسائد التي غرق رأس كايت فيها، ووجهها يلتوي ألماً.

«رأسي، أشعر كما لو أن مطرقة ضربته.» تأوهت كايت.

أخبرتها زوجة ألكسندر: «ليست مطرقة بل عجلة القيادة، اصطدم صدرك بها عندما صدمت السيارة صخرة.»

«صخرة؟» إنها لا تتذكر شيئاً من ذلك، لكن شعوراً بعدم الاهتمام خامرها فجأة، وفي حالة من الهذيان، سمعت صوت امرأة ورجل يتحادثان حول سريرها، بصورة أراحتها من أفكارها المخضبة.

في وقت لاحق زارها الطبيب، وهو رجل ربع القامة، ممتلؤها، رشيق الحركات لا يفقه شيئاً من اللغة الإنكليزية، عبر عن سروره، وفق ما قالت زوجة ألكسندر، التي عملت مترجمة، لعدم وجود إصابة بالغة، سوى إلتهاب فيروسي بعد الرجّة الخفيفة التي عانتها كايت بعد صحوتها ذلك الصباح.

قال: «كل ما تحتاجين إليه الآن هو الهدوء.»

طرفت عين كايت نحو المدخل، حيث وقف ألكسندر حاملاً طبقاً، وقال: «هل يمكنني الدخول؟»

أول حركة عفوية أتت بها كايت، كانت محاولة إصلاح شعرها الأشعث وقد عرفت مقدار فوضى هندامها، لكن في وقت لا فسحة فيه للياقة. وابتسمت له واهنة، وقالت: «أجل، بالطبع.»

اتخذت جلسة مريحة في السرير وغطت نفسها بالملاءة حين اجتاز ألكسندر الغرفة نحوها. وجاء بطاولة إلى جانب السرير وضع عليها الطبق بعناية.

«بعض من الحساء فقط، خفيف وغذاء منعش لمريض.»

تلاقت عيناه الرماديتان وعيناها، وقد شاب ألقهما الضاحك تعبير اهتمام لم تألفه من قبل، ومما أغاظها أنها شعرت برجفة تسري في معدتها. وقالت في نفسها: إنه الجوع. وابتسمت في وجهه. ليس سوى رجل رقيق، ويخص إنسانة أخرى.

أكدت له: «لست مريضة لكنني كنت غبية فـ...» وعبست وهزّت رأسها فارتعدت لشعور بالألم ناتج عن هذه الحركة. واعترفت: «لا أعرف ما حصل حقاً، لكن أتذكر أنني شعرت بالاعياء، وظننت أن لا بد من العودة إلى البيت، وعندئذٍ...» وكفت عن الكلام وجحظت عيناها من فرط الحيرة.

قال ألكسندر بحزم: «لا شيء مهماً، تناولي حساءك قبل أن يبرد، ويمكننا أن نسأل، لماذا وكيف عندما تستعيدين قوتك، فلا حاجة إلى القلق بشأن أي شيء.»

شرعت بقول: «لكن سيارتي...»

وطمأنها ألكسندر قائلاً: «هناك من يعتني بها، اتصلت بالمرآب المحلي وسيذهب من يسحبها ويصلح ما في حاجة إلى إصلاح. وستستعيدينها عندما يصبح بإمكانك القيادة، وفي غضون ذلك تبقين معنا ولا تجادلي.»

وابتسم لها، ثم استدار ليتركها تتناول طعامها بسلام.

لم تكن كايت تعرف انها جائعة، حتى تناولت أول ملعقة من شوربة الدجاج اللذيذة، والتي ذكرتها فوراً بمدى جوعها. وعندما عادت زوجة ألكسندر لتأخذ الطبق، كانت قد التهمت الطعام كلّه.

ابتسمت قائلة: «جميل، وتبدين في حال أفضل، ولست

محمومة جداً، أعتقد أنك ترغبين في غسل يديك، فإذا كنت قوية بما يكفي سأدلك على غرفة الحمام، هيا ارتدي هذا الروب.»

«كم أنتما لطيفان لتعتنيا بي هكذا، حتى أنكما تعيرانني ثوب نوم.» قالت كايت شاكرة وهي تتطلع في الرداء الغريب، حين أسندت الفتاة الأخرى مرفقها بيدها: «آمل ألاّ يكون ألكسندر معتاداً المجيء بالنساء التائهات لتعتني بهن في المنزل.»

«آوه، أقوم بذلك طوال الوقت.» تناهى إليها صوت من أسفل الدرج: «إنها هوايتي، انقاذ الفتيات لحظة الضيق، أظن أنك عرفت ذلك الآن.»

خرجت كايت من الحمام بعدما استعادت جزءاً من حيويتها وجمالها، لتجد ألكسندر يتمشى جيئة وذهاباً عن قرب ليساعدها في العودة إلى الغرفة.

«إلاّ إذا رغبت في النزول إلى أسفل؟» سألها مستفهماً.

وقد أثار غيظ كايت أن رجليها كانتا ترتعشان إلى حد مخيف، فهزّت رأسها حين أخذ بيدها.

قالت بابتسامة معتذرة: «ربما في وقت لاحق، ما زلت أشعر ببعض الإرتجاف حقاً.»

استلقت على سريرها شاكرة، وتطلعت إلى وجه ألكسندر وإمارات الجدّ على وجهها، وقالت: «صدقاً، أنا أشعر بالحرج فتلك كانت غلطتي، وما كان يجب أن أذهب بسيارتي وأنا أشعر بانحراف صحي، لكن ظننت أن ذلك من نتائج السفر...»

كفت عن الكلام، وهي تفكر في مقدار ضعف حجتها، غير

راغبة في تقديم مزيد من التفسير لهذا الرجل الذي ما زال غريباً عنها على الرغم من كل ما فعله.

حضَّها ألكسندر على المضي في الكلام وهو يشعر بحرج كايت، فابتسم لها مطمئناً: «وبعد، لا حاجة إلى الحرج، فأنا مسرور لكوني كنت قريباً من المكان لحظة وقوع الحادث.»

مالت برأسها إلى الخلف، وقالت: «وأنا أيضاً، لكنني آسفة لما سببت من إزعاج لك ولزوجتك. أنا واثقة من أنني سأكون قادرة...»

هكذا انقطع حبل كلامها ثانية في منتصف الجملة، لكن التعبير الذي ارتسم على وجه ألكسندر كان السبب هذه المرة. فقد ارتفع حاجباه وتدلّى فكه في اندهاش صاعق حين غرق في نوبة ضحك.

«زوجتي! ظننت ماريا زوجة لي؟»

بعدما فوجئت، قالت كايت بلهجة عنيفة: «حسناً، ما قيل لي أنها ليست كذلك.» ثم أضافت ببطء: «ليست زوجتك إذاً؟» واخترقت آثار ردة فعله عقلها المبلبل وتزايدت سرعة وجيب قلبها وهي تنتظر الجواب.

فقال لها وعيناه تتراقصان: «إنها أختي، ونحن غير متزوجين، وهذا مصدر حزن والدينا.»

لولا مسحة كآبة غطت ملامح وجهه الواضحة حين أنهى كلامه، لما كانت كايت في حال تسمح لها بأية ملاحظة. وارتمى رأسها على الوسائد، وقد نسيت مؤقتاً كل تصميم قاطع على طرد الرجال من حياتها، وكانت آخر فكرة رسخت في رأسها قبل أن تسبح في نعاس عذب، أن ألكسندر ديميتراكوس لم يكن في النهاية متزوجاً.

الفصل الثالث

ألقت كايت رأسها على الوسائد وهي تستمع إلى المحادثة الخافتة في الطابق السفلي، وإلى الأصوات الغريبة التي تناهت إلى سمعها من وراء النافذة، وهي تحاول التخفيف من بهجة اكتشاف عزوبة ألكسندر غير المتوقعة.

على الرغم من كل شيء، لم يقل سوى أنه لم يكن متزوجاً ولا ماري أيضاً، في اللحظة الراهنة، ويمكن أن يعني هذا أي شيء. فما شأن الصورة التي في حافظة نقوده؟ فقد يكونان خطيباً وخطيبة، وقد عرفت أن الخطوبة في اليونان تعتبر في نظر الأهل أمراً يفوق بأهميته ما يراه البريطانيون.

على أي حال، ما الداعي إلى إيلاء الأمر هذا الإهتمام؟ فلا بد لها من أن تقاوم سحر عينيه وفتنته، كما ذكرت نفسها، وعليها أن تحترس في هذه اللحظة بالذات، حين وهنت مقاومتها حتى بلغت أدنى مستوى. إذ قررت أن لا مكان للرجال في حياتها مستقبلاً. وكلما عجّلت في مغادرة هذا البيت المضياف، كان خيراً لها.

لكن الأمر لم يكن سهلاً كما تراءى لها.

«طبعاً لن تغادري غداً.» رفضت ماريا طلبها في ما بعد عندما عادت وشقيقها ليعرفا ما إذا حصلت كايت على كل ما احتاجت إليه تلك الليلة. وأردفت: «فضلاً عن أثر الصدمة

في رأسك، هناك ڤيروس في الجرح فلا تنسي. فعليك البقاء معنا يوماً على الأقل أو ربما يومين.»

«لا يمكنك الفرار، أليس كذلك؟» أشار إليها كأمر لا مفرّ منه: «فليست لديك سيارة، وأظن أنك لا تعرفين شيئاً عن مكان وجودك.»

حملقت فيهما مسلّمة، وقالت: «لا أعرف سبب هذا اللطف البالغ معي، فأنتما لا تعرفانني البتة وأنا غريبة عنكما.»

«ليس صحيحاً تماماً.» تمتم ألكسندر وهو يقرب وجهه ليوجه إليها نظرات مباشرة وأردف: «في اليونان لدينا عادة تقديم المساعدة إلى الغرباء، عرفناهم أو لم نعرفهم. وهذا ما يسمى حسن ضيافة ويعود تاريخه إلى بدء الخليقة. إن إهانة تلحق بنا إذا تركتنا قبل استعادة قواك ـ وبالإضافة إلى ذلك.» قال بصوت أقرب إلى الإثارة اللطيفة حين استدارت ماريا لتترك الغرفة: «نسر لقبولك المساعدة وأنت غير قادرة على وخزي بأشواكك.»

اقترب منها ولمس وجنتيها بلطف ثم سحب يده قبل أن تلاحظ شقيقته، وقبل أن تجد كايت فرصة لرد الفعل، عندما التقت أعينهما برهة قصيرة. وعندئذٍ أدار ظهره مغادراً، بعدما قال لها: «ليلة سعيدة، نامي جيداً.»

كانت الشمس تتوسط قبة السماء وترسل أشعتها من خلال ثغرة في الستائر، عندما استيقظت كايت في الصباح التالي.

نسيت للحظة أين هي، ثم أدركت كل شيء ومطت أطرافها في محاولة لاختبار قوتها، وهي شعرت بالرضى لتحسن صحتها. ووضعت يداً على رأسها الذي خفت حرارته عما

كانت عليه أمس، على الرغم من بقاء كدمة مؤلمة في جبينها، الذي اصطدم بعجلة القيادة.

وانثنت لتتخذ وضع الجلوس ونظرت إلى ساعتها، الحادية عشرة؟ غير ممكن!

فتحت مصراعي النافذة، وأطلت منها لتعب بملء رئتيها نسيمات الهواء العليلة المالحة، وقد نسيت أنها ما زالت ترتدي لباس نوم ماريا الذي أبرز مفاتنها أكثر مما كانت تريد في تلك الظروف.

«إذاً تشعرين بتحسن أكثر؟ لم لا تنزلين؟ فالمكان جميل، والمنظر رائع.»

لم تكن كايت قد لاحظت أن ألكسندر كان ضمن مجموعة من الرجال يتبادلون أطراف الحديث بجانب قارب صيد وصل لتوه ويتجادلون حول أي الصناديق يجب إفراغها. وحملق فيها بنظرة إعجاب جعلتها تنتبه إلى لباس النوم، وانسحبت بسرعة ووجنتاها تتوردان.

ارتدت ملابسها، وكانت عبارة عن قميص قصير الكمين وسروال جينز، وغسلت وجهها، وسرحت شعرها بسرعة وهبطت نازلة، ثم مشت على مهل وهي تتجه للإنضمام إلى ألكسندر.

تمتمت شفتاه: «لهفي على نفسي.» وفغر فاه وهو منذهل لتحديق كايت في عينيه، وأمسك بمرفقها كأنه صاحب حق، وقادها إلى المكان الذي كان يقف فيه من قبل.

«في أي شيء ترغبين ليكون عشاءُ لنا هذا المساء؟»

أنعمت كايت النظر في كمية السمك الغريبة التي لا تشبه شيئاً مما اعتادت رؤيته في المتاجر الكبيرة في بلادها.

قالت له مشككة: «أعتقد أن عليك الاختيار، فكل هذه الأسماك تبدو غريبة في عيني.»

استدارت بسرعة لتسير على حافة الرصيف بينما ينتهي ألكسندر من مساومة الصيادين، وحين أدركها كانت قد استعادت بعضاً من رباطة جأشها وتوصلت إلى قرار.

قالت له: «لا أستطيع الاستمرار في فرض نفسي عليك وماريا. أشعر صادقة، أنني بحال أفضل اليوم، وسأكون بخير عندما تعيدني إلى البيت في وقت ملائم بالطبع.»

«مستحيل!» أجابها ألكسندر بحزم: «ليس اليوم على أي حال. قد تشعرين بتحسن، وأنا مسرور لذلك، لكن الطبيب أصر على ضرورة بقائك بضعة أيام في نقاهة. فتذكري أنك أصبت بارتجاج، ولا بد من رعايتك حتى زوال آثاره تماماً.» وأضاف، وهو يفتح وعاءه ليريها ما فيه: «لا أستطيع استهلاك كل هذا السمك مع ماريا، فعليك أن تبقي وتأكلي حصتك.»

تنهدت كايت، والتوى وجه ألكسندر بابتسامة ذات مغزى.

وقال: «ألست سعيدة معنا يا كايت؟ أنا آسف إن لم تري ترحيباً بك.»

«لا بالطبع، أنا سعيدة.» عاجلته بالكلام لطمأنته، وأضافت: «لا أعرف مكاناً وجدت فيه ترحيباً كهذا، لكن الأمر...» ثم كفّت عن الكلام وعبست.

«نعم؟» حثها ألكسندر على الكلام.

هزّت كتفيها بحركة تنم عن الحزن، وقالت: «أظن أنني لم أعتد عناية الناس بي. فقد تمكنت دوماً من الإتكال على

نفسي، وهذه تجربة جديدة، لا أعرف منها ما يجب أن أفعل وما لا يجب.»

«أشواكك تبرز ثانية.» علّق ألكسندر على كلامها بجفاء، «فلا يمكننا طبعاً أن نمنعك من المغادرة والإهتمام بنفسك. فلست رهينة لدينا، وما فكرت إلاّ في حاجتك إلى المساعدة، لكن ربما كنت مخطئاً.»

استدار يسير مسرعاً باتجاه المنزل، تاركاً كايت ترمقه محتارة. فهل مست شعوره حقاً؟ أو أنها أثمت في حق تلك الكلمة اليونانية، حسن الضيافة؟ ـ لافتقارها إلى العرفان بالجميل؟

هرعت وراءه وأدركته خارج البيت وهو يهم بفتح الباب.

«ألكسندر أنا آسفة. لم أقصد إهانتك.» قالت وعيناها تنظران في عينيه: «أنا ممتنة لما فعلتما من جميل، لكنني لا أود إزعاجكما.»

مما أصابها بالخيبة، أنها شعرت بارتعاش رجليها، فترنحت وتمسكت بإطار الباب لتحافظ على توازنها.

رمى ألكسندر وعاء السمك وأمسكها من كتفيها عندما حجب ما يشبه الغمام الرؤية في عينيها فأظلمت السماء فيهما.

قالت واهنة: «أنا آسفة.» ووضعت يداً على رأسها: «لا أعرف ما اعتراني.»

«قلت لك أنك لست قوية بما يكفي للعودة إلى البيت وقد ثبت كلامي الآن.» قال ألكسندر بحزم وهو يحملها إلى غرفة النوم حيث وضعها برفق على كرسي. وأضاف: «أنت لست قادرة على الإعتماد على نفسك. أليس كذلك؟ اعترفي مرة واحدة!»

مالت كايت برأسها إلى الخلف، وقالت بلهجة إذعان: «لا يا ألكسندر، ربما لست كذلك.»

مما أثار خوفها أنها رأت عينيها تغرورقان بدموع الوهن، فطرفت بهما بعنف، لكن ألكسندر كان قد رأى كل شيء فسارع إلى مسحها بإصبعه الحذرة.

وقال: «تبقين حيث أنت، وسأحمل إليك شيئاً تشربينه، هل ترغبين في عصير البرتقال؟»

هزّت كايت رأسها علامة الموافقة، وأغمضت عينيها لتستمع إلى الضجة المطمئنة التي يصدرها ألكسندر وهو يتحرك في أنحاء المطبخ. فقد يكون في وسعها، على الرغم من إصرارها على الإستقلال، أن تعتاد تلقي العناية من الآخرين. لكن مايكل رغب في ذلك على طريقته، أليس كذلك؟ أو أن الأمر كان مجرّد ظن، حتى اكتشفت أنه هجرها وذهب مع كارول و اعتنى بها بشدة حتى حملت جنينه.

اجتاحتها موجات من المرارة الشديدة العاتية، حين تذكرت ذلك اللقاء الرهيب الأخير واتهاماته الجارحة التي لم تستطع نسيانها إلا بجهد وشجاعة، على الأقل تلك الجروح العميقة في روحها، قبل أن يعود ألكسندر إلى غرفتها يحمل طبقاً وضعه على طاولة قريبة من كرسيها.

«كيف يبدو الطعام؟ فكّرت أنك قد تكونين جائعة، وما تناولت شيئاً تقريباً منذ يوم أمس.»

«يبدو لذيذاً.» قالت كايت متحمسة حين وقعت عيناها على الخبز الطازج وعصير البرتقال وصحن اللبن وإلى جانبه وعاء مليء بالعسل، وكل ذلك مرتب على غطاء أصفر، وأضافت: «لا شك في أنك تعرف كيف تسحر فتاة.»

رأت ألقاً في العينين الرماديتين اللتين التقيا مع عينيها، وفغر ألكسندر فاه، وعلق قائلاً: «كايت كان يمكنك أن تخدعيني، لكنني مسرور لنجاح مهاراتي المهنية حيث أخفقت فتنتي، ولا جدال.»

شعرت كايت بحمرة تضرج وجنتيها فأحنت رأسها بسرعة وأخذت شيئاً من الخبز غمسته باللبن، لتخفي الارتباك الذي عرفت أنه بدا واضحاً على وجهها.

سألته: «مهارات مهنية، أنت لست نادلاً ولا ريب؟»

«كنت كذلك، في أيام شبابي.» أجابها ألكسندر بمرح، وتمشى نحو النافذة حيث اتكأ إلى الجدار لينعم النظر فيها، مستحسناً انكبابها على تناول فطورها. وأضاف: «كنت ساقياً أيضاً وطاهياً ـ كما يقولون، فعلت كل شيء.»

«هل تملك مطاعم إلى جانبا الفنادق؟» وتوقفت يد كايت في منتصف المسافة إلى شفتيها، عندما أدركت سرعة بداهة مضيفها.

«كنت أعمل. يملك والدي مطعمين في اسكوتلندا.»

«اسكوتلندا؟ يا إلهي، هذا شيء غير عادي!»

«كيف ذلك؟» ردّ عليها ألكسندر مهتماً: «ما هو غير العادي في اسكوتلندا؟ فالناس يعيشون هناك، ويأكلون مثلنا أيضاً.»

«أجل أعرف ذلك.» ورشفت كايت شيئاً من عصير البرتقال مفكرة. وأردفت: «لكن مسافة طويلة تفصل بلادكم عنها، وظننت أن هذا البيت مسكن عائلتكم، فربما أكون مخطئة.»

«لا، أنت محقة في كل شيء، يا آنسة بنواردن.»

عاد ألكسندر يجلس على ذراع الكرسي مقابلها وتابع قائلاً: «غادر والدي اليونان إلى لندن ولم يكد يتخطى الثامنة عشرة.»

«بعد ذلك؟» حثته كايت بفضول على المضي في الكلام.

«بعد ذلك، بينما كان يعمل في فندق، التقى بفتاة صارت زوجته وأماً لي، فتاة اسكوتلندية تدعى موراغ. وكان لها عم يملك مطعماً صغيراً لا يزيد حجمه عن مقهى في غلاسكو، وعندما اعتلت صحته سافرا لإدارة مطعمه. وكان في أساس كل شيء. ويملك ـ أبي ـ حالياً مطعمين وفندقاً حيث تعلمت وأشقائي وشقيقاتي أيضاً العمل، وهذا هو عملنا الأصلي.»

سألته: «لكنك لم تعد تعمل لديه؟» وهي تمزج العسل باللبن الكثيف الدسم وتلعق الملعقة بمرح صبياني. وأردفت مبتسمة: «بالمناسبة، ربما يكون هذا ألذ فطور تناولته منذ سنين. حتى أنه أشهى من فطيرة الكرواسان في باريس.»

تغضن جبينها بعبوس شديد وهي تلعق اللبن، وسرعان ما لاحظ ألكسندر تغير مزاجها.

فسألها: «هل من خطب؟» وأضاف بلطف: «ليست باريس مكاناً يذكر، مصحوباً بالأسى.»

أجابته بصوت خافت: «ليس لي أن أتحدث عنها فقد انتهى كل شيء الآن.»

ساد سكون قصير، وعندئذٍ سألته في محاولة لتغيير موضوع شعرت بأنه يحوم في ما بين ذهنيهما: «أين ذهبت ماريا هذا الصباح؟»

ضحك ألكسندر، وقال: «ذهبت لاستقبال خطيبها

مانوليس. فهو آت من أثينا، وراحت تنتظره في منزل والديه. وهذا هو السبب الأساسي لوجودها هنا حالياً، وذهابي لملاقاتها في المطار، إن التحدث عن مانوليس يذكرني...» وعندئذٍ نظر إلى ساعته الذهبية التي تحوط معصمه وانتصب واقفاً.

وقال: «هل ستكونين على ما يرام إذا غادرت لفترة؟ عليَّ أن أراه في مسألة عمل، لكن إذا لم تشعري بالراحة وأنتِ وحيدة...»

أكدت له كايت متعجلة: «لا، أنا بخير، عليك ألاّ تغير أي ترتيبات بسببي. أوه، وتتحدث عن شؤون العمل...» وكفت عن الكلام وهي تتساءل عما إذا كانت ستتطرق إلى الموضوع الذي أقلقها في البيت المنعزل أم سيبدو ذلك عبئاً على السامع.

قال ألكسندر: «حسناً، تابعي، فليس التلعثم من خصائلك.»

«التلعثم.» كلمة لم تتوقع سماعها في هذه البلاد. فابتسمت، وانفرجت شفتاها مترددة: «كنت أتساءل عما إذا كان بإمكاني استعمال هاتفك للإتصال ببريطانيا ـ سأترك لك ثمن المخابرة بلا ريب.» وأضافت متعجلة: «وإذا اتصلت بشريكتي فسيرتاح بالي عندما أعرف أن كل شيء يجري بانتظام هناك. فنحن على وشك افتتاح متجر آخر، هل تعرف...»

«مع ذلك تأتين في إجازة؟» انطلق صوت ألكسندر منذهلاً، كما توقعت أن يفعل، اعترفت كايت في قرارة نفسها، لما رأته، بعدما نظرت إليه بعينين كئيبتين، وتمنت

ألاّ يتحرى عن الموضوع. ففي وقت آخر قد تخبره سبب رحلتها، عندما تحين الفرصة المناسبة، وليس الآن.

هدأ روعها عندما رأته يهز كتفيه بلامبالاة وكأنه يرى المسألة شيئاً لا يخصه وعندئذٍ هز رأسه بالإيجاب وقال: «الهاتف هناك في المطبخ، وآمل أن تجدي كل شيء يسير على ما يرام، لكن لا تفرطي في الإهتمام بالعمل، ألا توافقين؟ فالراحة هي كل ما تحتاجين إليه.»

وعدته قائلة: «لن أفرط. وحالما أنهي مكالمتي مع ليز سأذهب في نزهة، وربما أمضي النهار في الجلوس تحت أشعة الشمس. فما العطل سوى وقت للهو، أليس كذلك؟» وهكذا أنهت كلامها بصوت متحشرج، جعل حاجبي ألكسندر يرتفعان من غير أن تلاحظ، لكن لم ينبس ببنت شفة. فربما يعرف لاحقاً سبب الظلال التي تخفيها عيناها الزرقاوان، لكن ما كان ذلك، المكان والزمان المناسبين.

أجرت كايت مكالمة هاتفية وافية مع ليز التي طمأنتها بلهجة قاسية تفيد أنها تسيطر على كل شيء، وأن بيتر وعد بانهاء رسومه في وقت متأخر من الأسبوع.

وضعت كايت سماعة الهاتف وهي تكبح الشعور غير المريح، لعدم وجود هاتف في البيت المنعزل يُمَكن ليز من الإتصال بها بسهولة، وتمشت في غرفة الجلوس لترى ما إذا كانت تستطيع العثور على كتاب تقرأه لتزجي وقتها إلى حين وصول ألكسندر أو ماريا، كتاب بسيط لا يتطلب جهداً ذهنياً. وفيما كانت تستعرض ما على الرفوف وقعت يدها على شيء مثير!

في نهاية صف الكتب وجدت مجموعة من الصور

الفوتوغرافية تعود إلى العائلة بمعظمها، وبدت ماريا في إحداها وهي تتأبط ذراع شاب أسود الشعر ربما كان مانوليس، وفي نهاية المجموعة وجدت صورة فتاة جميلة أخرى، تكاد لا ترى، كانت كايت متأكدة تقريباً من أنها الفتاة نفسها التي حمل ألكسندر صورتها في حافظة نقوده.

سحبتها كايت لتنعم النظر فيها عن كثب، فما وجدت شيئاً يكشف هويتها، لا إسماً ولا تاريخاً دوّنا على ظاهرها، فحملقت في الوجه الهادىء الجميل الذي يسرح في ما خارج الإطار، وتتمنى لو تبوح الفتاة الغامضة بسرها.

هل كان ألكسندر خطيباً لهذه الفتاة المجهولة يا ترى؟ لم يأت على ذكرها قط، لكن لِمَ يفعل؟ وفكرت كايت مغتمة، فما كان تعارفهما سوى أمر عارض على الرغم من كل شيء. وما من داعٍ ليخبرها كل شيء عن نفسه وعلاقاته.

فكرت ملياً بأمر تلك الصور ثم أعادتها إلى حيث وجدتها، وهي تتساءل عن السبب الذي جعل ألكسندر يضعها في مكان غير بارز، إن لم تكن خطيبته أو صديقة له.

كان كل شيء محيّراً.

لمحت صورة أخرى لعائلة كبيرة مجتمعة هذه المرة مع زوجين مسنين، ربما كانا السيد والسيدة ديميتراكوس يحوطهما بالغون وأطفال من كل عمر. وبحثت عيناها عن ألكسندر فوجدته واقفاً خلف والده ينظر إلى أعلى ضاحكاً في وجه الطفل الذي جثا على كتفيه، وربما كان شقيقه الأصغر أو ابن أخ أو أخت.

عندما تطلعت في وجوه أفراد هذه العائلة الباسمة واحداً بعد آخر، اجتاحتها موجة عاتية من الحسد والتوق جعلت

يدها ترتجف حين أعادت الصورة إلى مكانها في الرف، وقد أدركت أن هؤلاء تقاسموا شيئاً لم تعرفه قط، شعور الأمان تشيعه عائلة متآزرة متآلفة.

عادت أفكارها إلى طفولتها التي اختلفت عن طفولة الطفل الذي أمسكته ذراعا ألكسندر، وإلى أمها الضعيفة الإرادة، وإلى والدها الذي تخلى عنهما بعد أيام قليلة على ولادتها... واستحضرت بلا رحمة ذكريات غرف النوم والجلوس القذرة في آن التي سمتهما وأمها «بيتا»، حتى جاءت السلطات لترسلها إلى أول بيت من سلسلة بيوت رعاية الأطفال.

برغم إدراكه كل ذلك، كان مايكل يتساءل عن سبب شعورها بالعجز عن تكوين عائلة تخصها. فكيف يمكنها، وهي التي يعوزها حنان أمومي تعتمد عليه؟ فلن يكون خيراً لأي طفل أن يسند رأسه إلى صدرها بوصفها أماً.

قبل أن تترك نفسها تغرق في لجة النواح على نفسها، أشاحت كايت وجهها بعجالة عن الصورة، وأخذت كتاباً هو نسخة أنيقة من قصة رومانسية تاريخية كتبتها جورجيت هاير، وحملته إلى الحديقة الصغيرة خلف البيت حيث قرأته، وراودها النعاس إلى حين وصول مضيفيها مساءً.

«شيء مخجل.» قالت لماريا مبتسمة بخجل: «لا أذكر شيئاً قمت به طوال اليوم.»

أكدت لها ماريا بحزم: «كان خيراً لك ذلك. فقد أخبرني ألكسندر أنك تديرين أعمالك بنفسك، لذا أعتقد أنه لم تكن لديك فرصة تستريحين فيها. وعلى أي حال، أتيت لقضاء عطلة.»

نهضت كايت ومطت أطرافها متكاسلة، وقالت: «حتى لو كان ذلك... أرى أنني سأقضي أسبوعين في بطالة تامة، ما لم أحث نفسي على العمل، ولايمكنني أن أستمر في إلقاء إعبائي على كواهلكما كما أفعل. فأنا أشعر بحال أفضل، ولا بد من أن أغادر غداً، وأعود إلى مكاني، حتى لو سيراً على الأقدام، فقد امتدت إقامتي فترة كافية معكما.»

«لا داعي إلى هذا التصرف الشديد.» قال ألكسندر ضاحكاً وهو ينسل من وراء الباب الخلفي. وأردف: «تعود سيارتك من المرآب غداً، وإذا أصررت على الرحيل...» هزت كايت رأسها بحماسة، وأضاف: «حسناً، سأرافقك في طريق العودة لأتأكد من وصولك بسلام.»

«لا حاجة إلى ذلك.» رأت التصميم في عيني ألكسندر. «حسناً، أقبل ذلك، أشكركما جزيل الشكر.» قالت بلهجة إذعان لا عهد لها بها.

«شقيقك مستبد.» قالت كايت لماريا باستسلام ساخر وهي تتبعها إلى المطبخ. وأردفت: «لا يستسيغ سماع لارداً على سؤال يطرحه.»

قالت ماريا ضاحكة: «مثل جميع الرجال اليونانيين. لكن طالما تظاهرت بالرضوخ لهم، يمكنك أن تحركيهم بإشارة من إصبعك.»

«حدثيني عن خطيبك...» قالت لها كايت وهي ترقبها، فيما كانت تنظف الأسماك، التي اشتراها ألكسندر، بحركات رشيقة: «هل يعيش هنا أو في أثينا؟ هل عرفته قبل وقت طويل؟»

بينما كانت ماريا تعمل، لبت رغبة كايت، وأطلقتها على المزيد من تفاصيل تاريخ عائلتها. فعلى الرغم من عدم التقائها بمانوليس، وحتى سنيّ المراهقة، فإن روابط قوية جمعت ما بين العائلتين، حتى قبل رحيل والد ألكسندر وماريا إلى لندن.

قالت لها: «لا أجانب الصواب إن قلت لك إن ذلك ليس عادياً كما تظنين في هذا الجزء من اليونان. فالحزازات، وتلك الدموية منها بخاصة، هي الشائعة بين العائلات المتجاورة، أكثر من الصداقة.»

«وماذا يعمل مانوليس لكسب قوته؟» سألتها كايت باهتمام.

«يعمل في إدارة الفنادق. هل أخبرك ألكسندر في ما يتعلق بمشروعه الجديد؟» سألتها ماريا كمن يحاول تغيير موضوع الحديث.

هزّت كايت رأسها بالنفي، وقالت: «لا، حتى أنني لا أعرف منصبه في العمل، إلا ما قاله بشأن امتلاكه فندقاً قرب مطار أثينا، وخبرته بوصفه نادلاً بارعاً.»

ضحكت ماريا وقالت: «حتى أنا لا أستطيع أن أقول لك ماذا يعمل. فله في كل عرس قرص ولا يمكن مجاراته في ذلك.»

عند ذلك، جاء ألكسندر وانضم إلى الفتاتين، وقد سدّ المدخل بقامته الفارعة وهو يتكىء إلى الجدار.

قال: «والقرص الأخير هو في مجمّع فنادق جديد سيبنى على اللسان البحري وراءنا. وسيكون أنيقاً وجميلاً جداً، وستسمحين لي بأن أريك إياه في وقت آخر.»

«سأقوم بإدارته مع مانوليس،» قالت ماريا وهي تحضر السمك لشيّه في الفرن.

قال ألكسندر لكايت مشيراً إلى السمك: «وهناك شيء آخر يجب أن تعرفيه هنا في ماني. إن الأسماك ستكون لذيذة وستهتم ماريا بها، لكن هناك طريقة وحيدة لمعرفة قيمة هذا السمك، وهي أن يشوى على الجمر في الهواء الطلق على الشاطىء، على بعد أميال من أي مكان مأهول، ويُفَضَّل ذلك مع فتاة جميلة، فيما تنعكس أشعة الشمس على أمواج البحر.» وارتفع حاجباه ببطء وهو ينظر إلى كايت جانباً. وأردف: «سنذهب في قاربي ذات مساء، قبل عودتك إلى بريطانيا، وستعرفين ما أعني. ستكون تجربة لن تنسيها في حياتك. وأعدك بذلك.»

«أنا متأكدة.» تمتمت كايت، وقد شعرت بإغراء تخطى كل تصور، وهي تترقب موعد الرحلة الرومانسية، وقد روّعها في الوقت نفسه ازدياد وجيب قلبها أمام الصورة التي رسمها ألكسندر في مخيلتها، فالتفتت لتقدم ملاحظة عادية إلى ماريا وهي غير مدركة بريق العينين الرماديتين الثاقبتين اللتين فهمتا مغزى التورّد الذي اجتاح وجنتيها فجأة.

كلّما سارعت إلى الإنزواء، كان خيراً لها. فما كانت تحسب حساباً لتنازع العواطف ذاك في روحها، وإن كان مؤقتاً.

لم تضع كايت احتمال شعورها بالوحدة، في الحسبان، حالما تعود إلى الإقامة في ذلك البيت الحجري الصغير الذي كان بمثابة منزل مؤقت.

قال لها ألكسندر، حين كانت على وشك المغادرة: «اتصلي بنا هاتفياً، إن احتجت إلى أي شيء.»

بلطف كلماته تلك، سار وراءها بسيارته طوال طريق العودة، وانتظر حتى يراها ترتاح آمنة، قبل أن يقرر أنها قادرة على تدبير أمرها.

قال لها: «من الأفضل أن تعرجي علينا، فالبيت ليس بعيداً وتعرفين مكانه الآن. لكن لا حوادث أخرى، تذكري. فقد تنعطفين بطريقة خاطئة في المرة اللاحقة.»

ارتعدت، وقالت له: «وقد لا أجد فارساً هائماً على جواده يمرّ بي وينقذني.» تطلعت في عينيه الواسعتين الرماديتين حين مضت في كلامها: «لا أستطيع التعبير عن مقدار امتناني لك ولماريا على كل ما فعلتماه من أجلي وبخاصة بعد...»

صمتت، بيْد أن ألكسندر فهم مغزى الجملة المبتورة وقال: «بعد محاولتك لسعي بلسانك الجارح.» علّق بابتسامة ذات مغزى وأردف: «إنني ثقيل الظل، ولا يمكن ردي عن القيام بشيء إذا ما صممت، مثل مساعدة فتاة في مأزق على الرغم من إرادتها.»

اعترفت كايت بكآبة: «ما كانت إرادتي تقدر على إبداء مقاومة شديدة. وكما قلت، أشكركما جزيل الشكر حقاً.»

مدت يدها فأخذها ألكسندر بكلتا يديه، وجذبها نحوه وانحنى بسرعة ليعانقها، أمر، جعلها تجمد وتحملق فيه، وهو يعود إلى سيارته يلتفت إليها مبتسماً ويلوح بيده مودعاً.

قال: «وداعاً يا كايت، أراك قريباً انتبهي لنفسك.»

ثم انعطف بسيارته وانطلق مثيراً سحابة غبار وراءه، وغاب عن النظر.

هكذا عادت كايت إلى البيت وهي مغمومة أكثر مما تعترف في قرارة نفسها، وأصابعها تتحسس ثغرها بلطف، وشعرت بهزة عنيفة حين تساءلت عما كان ممكناً حصوله لو ضغط بالحاح أشد، ويداه تشدانها إلى صدره العريض.

«لا.» وجاء صوت من داخلها يأمرها بالرفض: «عليك ألاّ تفكري بذلك. فهو لا يعني لك شيئاً، كما أنت لا تعنين شيئاً له. لا شيء! هل تسمعين؟ تذكري تلك الصورة.»

غمغمت تقول لنفسها: «سمعت. وعليك ألاّ تستمري في ذلك. ولا ضير في أن تكتفي بالتأمل طالما تجنبت فرصة الوقوع بين يدي أحدهم. فحياتي ستكون الوحدة التي لا تنتهك من الآن فصاعداً.»

لكن كل هذه التحذيرات لم تنسها اشتياقها إلى لطف ألكسندر وشقيقته ومعاملتهما اللائقة ومصادقتها عن طيب خاطر، وفقدت شهيتها وهي تتناول غداءها وحيدة في حانة القرية، وبخاصة عندما تلفتت حولها لترى الطاولات الأخرى يجلس إليها السكان المحليون، والمصطافون والعائلات والشابات والشبان، يمتعون أنفسهم ولا أحد غيرها يجلس وحيداً.

كان خيراً لها لو تناولت طعامها في البيت المنعزل، قالت لنفسها متنهدة، بعدما دفعت ثمن الطعام وانطلقت في الطريق المواجه للشاطىء. فما كان عليها أن تتحمل ألم رؤية الفرح على وجوه اللاهين.

جلست على مقعد تحت شجرة مغبرّة وسرّحت نظرها في

البحر. فما كان خطبها؟ فقد جاءت مسرعة لتبقى وحيدة، لتسترخي بعيداً عن الضغوط الناتجة عن إرضاء رغبات الآخرين، وكانت أمهر من أي إنسان في صون نفسها. فكيف أمكنها أن تصل بأعمالها إلى النجاح الذي بلغته؟ فعلى الرغم من كل شيء، لم تنزل ليز إلى ساحة العمل إلا عندما ازدهرت مشاريعها.

لا بد أن الصدمة التي تلقتها في رأسها أثرت عليها أكثر مما تصورت، وكان أفضل ما يمكنها فعله أن تجد شيئاً مفيداً تقوم به، كأن تجول في السوبر ماركت الصغيرة وتبحث عن شيء تعده للغداء الآن.

أفلم تجد كتاب طبخ يوناني في غرفة الجلوس؟ فبشيء من الارتجال والإبداع، قد يمكنها أن تجرب إعداد بضعة أطباق جديدة تطبخها لصديقتها في بريطانيا، وخطر على بالها، فجأة، أن تدعو ألكسندر وماريا ومانوليس لتناول العشاء بعد يوم أو اثنين في لفتة شكر على ضيافتهما.

همس صوت خفي في أذنها قائلاً إن حفلة عشاء ستوفر لها أمراً تشغل به نفسها، وتعطيها عذراً صادقاً لتكون على اتصال مباشر مع ألكسندر لتراه ثانية.

قضت بقية اليوم سعيدة وهي تضع قائمة الطعام، وعادت في المساء إلى القرية كي تتصل هاتفياً بمنزل ألكسندر.

«ألو، كايت.» هذا ما قاله وقد فوجيء بسماع صوتها بعد وقت قصير. وأردف: «لا شيء على غير ما يرام، أليس كذلك؟ هل أنت في حاجة إلى فارس ينقذك من جديد؟»

اعترتها رعشة انفعال لم تستطع، أو بالأحرى، لم ترد معرفة طبيعتها حين سمعت نبرات ذلك الصوت العميق

الخلاب، واستطاعت تخيل التعبير الساخر المثير في عينيه وكأنه يجلس بقربها.

قال: «كايت، هل أنت هناك؟ هل أصابك شيء؟ أنت لا تشعرين باعتلال، أليس كذلك؟»

تغيرت نبرة صوته الرقيقة لتعبر عن قلق جادّ شعرت به، وأعادها إلى الوعي.

«لا، لا شيء من ذلك. آسفة، كنت أفكر بشيء ما فحسب...» وتقطع صوتها حين أنبت نفسها على سرعة تأثرها. وقالت بجدية: «لا، اتصلت بكم لأعرف ما إذا كنت ستأتي مع ماريا ومانوليس، إذا رغب، لتناول العشاء عندي ولأشكركما على حسن ضيافتكما، وتلفظت بهذه الكلمة الأخيرة باليونانية، ضاحكة.

«شيء لطيف منك، لكن لا حاجة إلى ذلك، وبخاصة عندما يفترض أنك في إجازة.»

أصرت كايت قائلة: «ذلك سيملأ فراغي بالعمل، فلست معتادة حياة البطالة التامة، وسأكف عن التفكير في أعمالي.»

سمعت ألكسندر يضحك ضحكة خافتة، وقال: «في هذه الحال سنفعل ما يناسبك.» ساد صمت قصير، سمعت فيه همهمات. ثم قال ألكسندر: «تقول ماريا إننا نقبل دعوتك بسرور. وهل يناسبك يوم بعد غد؟»

«حسناً،» قالت كايت وهي تحاول إخفاء حماستها. وأردفت: «أنا في انتظار رؤيتكم جميعاً.»

وجدت كايت نفسها في اليومين التاليين تترقب حلول موعد حفلة العشاء بفارغ الصبر وباثارة لا تتناسب مع حجم

الحدث، واجتاحتها أمواج الشك غير مرة، بشأن الحكمة من تلك المبادرة.

كانت تعرف أنه ليس سهلاً لها أن تخدع نفسها بالقول إنها لا تنتظر سوى الحفلة، فكان قلبها يقفز من مكانه كلما فكرت فيها. فلماذا تخطو برجليها في تعقيدات الأقدار التي أتت في صورة رجل مثل ألكسندر، تكاد لا تعرف شيئاً عنه فتدعوه إلى بيتها، إلى الدخول في حياتها وهي التي جاءت إلى هذا المكان لتتخلص من شجونها.

أفلم تقل لنفسها مرة بعد مرة، بعد الإنفصال المؤلم عن مايكل، إنه لا بد من إبقاء الرجال على مسافة منها، بعد ذلك؟ فلِمَ أصاب الوهن قرارها بالإستقلال بنفسها؟

لكن دعوة ألكسندر إلى العشاء، لا، يمكن اعتبارها تورطاً، خطر لها وهي تسرح بنظرها في كرم الزيتون من خلال نافذة المطب. وعندما ينتهي العشاء يزول كل سبب أو عذر لتقاطع طريقيهما مرة أخرى. وبأي حال، ليس ممكناً أن ينفردا. فماريا ومانوليس سيكونان حاضرين أيضاً، وأي شيء كان طبيعياً أكثر، كي تبرهن لهما عن كرمها بهذا الأسلوب البسيط؟

بيد أن الأقدار كان لها رأي آخر في تحديد اتجاه الأحداث. فيوم حفلة العشاء سمعت كايت وهي تدخل إلى مخزن البيت، حاملة كل ما تحتاجه من خضار، صوت سيارة تنطلق عبر الطريق.

قالت: «ألكسندر!» وشهقت، وصار قلبها ينبض بعنف، عندما رأته يقفز منها ويتجه نحوها.

ناداها قائلاً: «لا تقلقي، لا شيء على غير مايرام، ولا

شيء مهماً، على أي حال، لسنا مجانين جميعاً لنصل باكراً.»

سمعت كايت نفسها وهي تقول له شاردة الذهن: «لكن يمكنك الدخول.»

«ليس صحيحاً، هيا بنا، لندخل، فستسقطين ما تحملينه إذا بقيت واقفة في مكانك.»

دخلا إلى المطبخ حيث وضعت كايت حملها على الطاولة، بينما أوضح لها ألكسندر أن ماريا تعافت بعد أن عانت صداعاً من النوع الذي يرهقها من وقت إلى آخر.

قال: «لا يمكنها القيام بشيء سوى البقاء في السرير بانتظار زوال العارض الصحي الذي يستغرق يوماً عادةً، ومانو...»

«لا يريد أن يأتي من دونها. فهمت، يا لماريا المسكينة، أنا آسفة. لكن قل لها ألاّ تقلق فيمكننا أن نحدد يوماً آخر بسهولة.»

«لكنك أحضرت كل شيء، أليس كذلك! ومضيت في تحضير الطعام أيضاً كما أتوقع؟»

«حسنا...» وتردّدت كايت غير راغبة في أن تقول كذبة واضحة. وأردفت: «لقد بدأت العمل، أنظر...» وتورّد خداها حين مضت في الكلام: «يمكنك أن تأتي على أي حال، كما أظن؟ وقد اشتريت ما يفيض عن حاجة شخص واحد.» وأشارت إلى الخضار المكدسة بينهما. وأردفت: «قد يتلف معظمها.»

«ستكون لذيذة.» قال ألكسندر بصوت أجش يكاد أن يفضح ابتسامة بانت بوادرها في زاويتي فمه وأضاف:

«سيكون لي شرف قبول دعوتك، وسأترقب حلول المساء بشوق.»

«ليس أكبر من شوقي.» قالت كايت لنفسها وقد غمرها تيه آثم، حين سمعت صوت سيارته وهو ينطلق في الطريق. ولم تفكر قط بأنها عملت كل ما في وسعها منذ أيام لتبقى على مسافة من هذا الرجل المثير الذي أصر على التحدث معها. أما القرارات الشجاعة بشأن تجنب صحبة الرجال... فقد دفنت إلى غير رجعة في إحدى زوايا ذاكرتها المظلمة، على الأقل،في هذا اليوم.

«يا إلهي.» قال ألكسندر، واتبعها ببضع كلمات غير مفهومة، كانت يونانية كما تصورت كايت، وكانت تعني الشيء نفسه. ووقف في المدخل، يحجبه بقامته، وينظر إليها بعينين تفيضان إعجاباً ودهشة صادقين، فوجدت كايت نفسها وقد احمر وجهها خجلاً مثل تلميذة صغيرة.

قال: «لا بد لي من تهذيب عادتي في إنقاذ الفتيات الجميلات من المآزق...» غمغم وهو يرفع يدها إلى ثغره: «... إن كانت النتيجة كما أرى.»

نظرت كايت إلى قماش تنورتها الرقيق الذي يشع بلونه البرونزي، منسجماً مع لون شعرها الكستنائي وقد سرت لاختيارها بعد عذاب التردد، لترتديها في هذه المناسبة. ولم يكن ذلك يعني أنها بذلت جهداً في اختيار ملابسها قبل الرحيل، فما خطر لها أن المناسبات الإجتماعية ستنتظرها، وهكذا وضبت هذه التنورة في آخر لحظة. وقالت لنفسها: «سأرتديها في حال...»

هكذا ارتدتها في حال كان لا يمكن تصورها حينذاك

وقالت له بلباقة: «أشكرك على مجاملتك لي يا سيدي.» واستدارت بسرعة نحو الداخل لتخفي النبض العنيف في عروق رقبتها، فضلاً عن الألق الجلي في عينيها، وهي تراه واقفاً أمامها طويلاً متمتعاً بقوى رجولية كما لو أنها رأته لأول مرة.

تساءلت مرة بعد مرة عن مقدار ذكائها حين دعت ألكسندر للحضور وحيداً.

الفصل الرابع

كانت هناك فسحة مرصوفة في فناء البيت الخلفي تحتوي على كرسيين وطاولة بين مجموعة من أواني الزهور التي تفتحت بألوان زاهية في وقت متأخر من العام، وردة من الجيرانيوم أضفت على المكان جواً من الألق والجاذبية، وغرق ألكسندر في كرسي وتطلع حواليه باهتمام.

«شيء جميل جداً، من قلت أنه يملك البيت؟»

«صديق صديقتي. يدعى يانيس بافليدس، وهو متزوج من فتاة بريطانية تدعى بيني، وهي صديقة حميمة لصديقتي وشريكتي في العمل ليز، هل استوعبت كلامي؟»

«فهمت تقريباً.» قال ألكسندر مبتسماً. «ليز هي السيدة التي اتصلت بها ذلك اليوم، أتذكر، أنا لم أسألك، فهل يجري كل شيء بشكل طبيعي في غيابك؟ كيف الخطط المتعلقة بفتح متجر آخر؟»

مال إلى الخلف وهو يمد رجله إلى الأمام يرقب كايت وهي تحمل طبقاً من المشروبات أتت به من المنزل. وقالت له مندهشة: «لك ذاكرة قوية مثل الكومبيوتر، حين يتعلق الأمر بمشاريع الأعمال.» ارتشف كأسه، وهو ينعم النظر في وجهها، متأملاً من وراء حافة الكأس التي يديرها ببطء بين أصابعه الطويلة. وقال: «ماذا تبيعان؟ ولمن؟»

«حسناً...» وعبست كايت، فلم تتوقع هذا النوع من

المحادثة، لكن لا بأس في أن تجيب إن كان مهتماً. وقالت: «نضع نصب أعيننا نوعاً من نساء الأعمال اللواتي يرغبن في ملابس أنيقة التصميم ولا يجدن ضيراً في إنفاق مبلغ زائد من المال في سبيل اكتساب مظهر حسن. ونتلقى كثيراً من بضائعنا من مصممة فرنسية شابة تدعى نيكول لاتور، وهي صاحبة فكرة توسيع العمل والمتجر الجديد في برايتون، ونأمل في فتحه في غضون شهرين.»

رفع ألكسندر حاجبيه دهشة وقال: «لكنك جئت الآن لقضاء عطلة.»

سرعان ما فهمت كايت ما يقصده وقَسَتْ ملامح وجهها، وقالت: «رأت ليز أنني في حاجة إلى عطلة استراحة لسبب أو لآخر...» وتهدَّج صوتها، واستدارت لتشغل نفسها بالقناني الموضوعة على الطاولة بجانبها.

«باريس؟» قال ألكسندر. «فربما كانت السبب باريس؟»

رفعت كايت رأسها دهشة، وقالت: «ماذا...؟»

ضحك ألكسندر بلطف، وقال: «أرسلت عيناك النظرة نفسها عندما ذكرت كلمة «باريس» ذلك اليوم، وتساءلت... أنا آسف، كان عليَّ أن أبقي لساني دافئاً، أليس كذلك؟ فأخبريني بدلاً عن ذلك عن المتجر الجديد. فهل ستضعان نصب أعينكما أسواقاً مختلفة في برايتون؟ ربما لملء الفراغ في العمل؟»

طردت كايت صورة مايكل من مخيلتها وهو يتنزه في الشانزيليزيه مع كارول، باسمة في عينيه، ثم يتقاسمان عشاء حميماً في مطعم رومانسي باهظ الأسعار، قبل أن يتسكعا عائدين إلى الفندق.

صرخ قائلاً: «كايت؟»

«آوه، آسفة.» وحوّلت فكرها نحو أعمالها لتجيب عن أسئلة ألكسندر المدققة.

سألته: «هل تفكر في منافستي في السوق؟ إذ آراك شديد الفضول بشأن أعمالي.»

التفتت إليه عبر كتفها فرأت وميضاً يتألق في عينيه، وقال: «منافسة؟ هذا شيء لم أفكر فيه، أتساءل...»

«تساءل كما تشاء يا سيد ديميتراكوس.» قالت له بلهجة تخفي معاني كثيرة. وأردفت: «أنا لم أعمل بكل جهدي في السنوات الماضية لأرى نجاحي يسرق مني وأنا على وشك قطف ثماره.»

«موافق تماماً.» اعترف ألكسندر بلطف، وقال بعجالة: «ومع ذلك، ففكرتي غير سيئة فما رأيك بالتشارك؟ ديميتراكوس وبنواردن أو بالعكس إن شئت.» وحاول أن يتجاهل الصراع العنيف في ذهن كايت، الذي عكسته عيناها.

قالت بحزم: «لديّ شريكة واحدة، وهذا يكفيني، شكراً لك. لكن إن احتجت إلى شريك آخر، فسأخبرك، وسألزمك ذلك.»

كانت ثمة ومضة تحدٍّ في عيني ألكسندر تهدّد بأشياء لا تريح قلبها اللاهث، والتفتت بسرعة ثم قامت لتذهب إلى غرفة الجلوس حيث كانت المائدة عامرة بما لذّ وطاب، تنتظر من يجلس إليها.

دعته قائلة: «هلا جلست، لا أعرف كيف تشعر، لكني أتضور جوعاً.»

حين سحبت كرسياً له مست يده ذراعها، وسرى في جسدها ارتعاش بلغ نهايات أعصابها، لكنها أجبرت نفسها بإرادة قوية على تجاهل ذلك التماس القصير. فما كان عليها أن تترك نفسها تقع ضحية فتنة هذا الرجل وجاذبية طلعته.

كان ألكسندر، كما توقعت، رفيقاً مسلياً وهو يروي لها شيئاً من التاريخ المضطرب لهذا الجزء من اليونان، والمزايا الكثيرة لـ «مافروميكاليس» (مايكل الأسود) الذي قاد التمرد في مواجهة المحتلين الأتراك.

قال لها: «ثمة تمثال له في أريوبوليس. ولن تفوتك رؤيته إذا ذهبت إلى المدينة، فهو بمثابة مَعْلَمٍ وهو ينتصب واقفاً في الساحة.»

ران الصمت لدقيقة ونظر ألكسندر بطرف عينيه إلى رأس كايت المنحني، وهزّ رأسه مفكراً، لكن قبل أن يتكلم سألته كايت مشرقة: «ما رأيك بفنجان قهوة؟ إلاّ إذا رغبت في مزيد من لحم الدجاج.»

«لقد أكلت أكثر مما ينبغي، أشكرك.» مال ألكسندر إلى الخلف في كرسيه وابتسم لكايت، وقال: «كانت وجبة لذيذة. ولم تعرف ماريا ومانوليس ما فقداه، إني مسرور لأنك سمحت لي بالمجيء وحيداً. وعلى الرغم من...»

كفّ عن الكلام لبرهة غير قصيرة ليعبّ بقية شرابه، ثم وضع كأسه على الطاولة مفكراً، ويتكىء عليها بمرفقيه وهو يوسع عينيه.

قال: «تحققت الآن، يا آنسة بنواردن، من أنني لا أعرف عنك أكثر مما عرفته عندما وصلت، إلا أنك امرأة أعمال

ناجحة وموهوبة، وطاهية ماهرة أيضاً. كان حساء السمك شهياً جداً.»

أحنت رأسها بتواضع ساخر، وقالت: «أشكرك يا سيدي، مسرورة لأنه أعجبك.»

نهضت بسرعة لتستدرك ظهور أي ملامح تفضح المزيد من طبائعها، وكررت سؤالها بشأن القهوة.

«أعرف أن ليس مألوفاً اختتام مأدبة بها، هنا في اليونان، لكنني أرغب في فنجان منها... إلا إذا أردتها على الطريقة اليونانية؟ فهذا أمر لم أعتده حتى الآن.»

«سأعلمك الطريقة، لكن دعينا نرى ما في المطبخ.»

كانت كايت قد أدارت ظهرها لألكسندر لبرهة وهي تتطاول بجسمها لفتح إحدى خزائن الصحون، عندما أدركت متأخرة، أنها تصرفت بطريقة تخدم مصلحته تماماً.

قالت محتجة: «ألكسندر، هذا ليس...»

همس في أذنها: «ليس ماذا؟ غير لائق، ليس ما توقعته؟ أو غير ما تريدين؟ وهذا أليكس فعلاً، قلت لك إن أصدقائي ينادونني أليكس، ونحن صديقان كما آمل؟»

تهدّج صوتها وهي تقول: «ليس لائقاً.»

«ليس لائقاً؟ كل شيء لائق في أوقات كهذه، وإذا كان هذا...»

سمعته يكبت ضحكة خافتة وهو يديرها برقة وعلى نحو لا يقاوم لتواجهه، وهو يهز رأسه رضى، للتعبير الذي رآه في العينين الزرقاوين المحدقتين فيه.

«مع ذلك، أعتقد...» ورفع يداً واحدة عن خصرها ليمسك ذقنها بأصابعه الرقيقة، وأضاف: «كما قلت من قبل، لم

تخبريني شيئاً عن نفسك، ولست راغباً في حشر أنفي. فهل ثمة شخص... مميز؟ وهل فقدته في باريس؟ لا يا كايت، لا تكوني فظة الآن.» قال كل ذلك بصوت رقيق، وهو يشعر بتراجعها الغريزي حين تصلّب جسدها بين يديه. وقال: «لن أتطفل إن لم تريدي... لكن قولي لي فحسب إنك لا تمانعين في... أن أفعل هذا...»

انحنى بسرعة وضغط عليها في عناق طويل ناعم، بينما تحركت يده التي أمسكت ذقنها إلى وجنتها بلطف ومنها لترود ما تحت خصلات الشعر الكستنائي المنسدل على ظهرها.

قال هامساً بعدما رفع رأسه: «تحدوني رغبة في أن أفعل هذا منذ رأيتك في غاتويك. دعك من القلق.» وأضاف: «إن لم تريدي أن أعانقك، صارحيني فأنا لست بربرياً، بل رجل شريف مستقيم.»

«كما يتصرف الفارس الهائم.»

«بالضبط.» وعانقها ألكسندر ثانية، وعلى الرغم من أنه كان ما يزال يعانقها بقوة، لم تشعر كايت بأي خطر يهددها. وللحظة خوف عابرة، تساءلت مندهشة عما إذا كانت في أمان وهي وحيدة معه بعيداً عن أية نجدة. لكن عناقاً أو اثنين أو ثلاثة... ليست مما يقلق الآن، طالما لم يحاول تصعيد الأمور.

«هل هناك غريم، ينازعني على عواطفك، يا سيدتي؟» تابع أليكس اصراره بخفة، ويبحث في عينيها عن جواب لسؤاله، وببطء هزت كايت رأسها بالنفي.

«لا، يا أليكس، لا من غريم الآن.»

مما روّعها، أنها رأت عينيها تغرورقان بالدموع وتنحدر على وجنتيها. وسمعت نفسها وهي تطلق سيل الكلمات التي أدت إلى انفصالها عن مايكل نهائياً. ولم تقل لليز شيئاً سوى فسخ الخطوبة.

إن التصريح بأن حياتها خلت من أي رجل كان يعني وضع حدّ للعلاقة الطويلة السعيدة المتحلّلة مع الرجل الذي ظنت أنها ستكون زوجة له.

«أنا آسف، كان عليّ أن أسأل.» قال ألكسندر بهدوء ويداه تتراخيان وتطمئنانها وهو يقودها إلى غرفة الجلوس. وارتمى على أريكة وبحث في جيبه عن منديل أبيض نظيف فمسح به دموعها وأعطاها إياه لتخفي به عينيها.

قال: «أظن أن الوقت حان لأحضر القهوة بنفسي، إلاّ إذا أردت أن أغادر.»

«لا، لا تذهب، ستكون القهوة لذيذة، أشكرك.» هذا ما قالته كايت بابتسامة يشوبها الحزن وقد عملت ما في وسعها لاستجماع قواها. فلم تكن معتادة الغرق في بحر الدموع، وبخاصة أمام هذا الرجل الذي ما زال غريباً عنها، وغضبت من ضعف نفسها.

قال لها ألكسندر بلطف وهو يتجه إلى المطبخ: «قد يكون ذلك من آثار الرضّة. والآن كيف تريدين القهوة؟ على الطريقة اليونانية، أم بالترشيح؟ (الإكسبرس).»

«بالترشيح. وربما تعلمني كيفية تحضيرها بالطريقة الأخرى في وقت آخر؟» تجرأت كايت على الكلام وهي تتساءل عما إذا كان ألكسندر سيزورها ثانية بعد ذلك التفجع على الذات، وقد كشف الإختلاج

في صدرها مقدار رغبتها في رؤيته مرة أخرى.

أجابها: «مؤكّد، وفي أي وقت تريدين.»

وران بينهما سكون مطبق لا تعكره سوى الأصوات التي يصدرها ألكسندر وهو يحضر القهوة، وعندما عاد إليها كانت قد استعادت رباطة جأشها.

لم يعد ألكسندر إلى ذكر شيء من المحادثة السابقة، لكنه ابتسم لها حين جلس في انتظار ترشيح القهوة.

قال: «تحضير القهوة هي مهمة أبي في البيت، وبخاصة عندما يرغب الآخرون في أن تكون على الطريقة اليونانية. فهذا لم تعتده أمي قط، وربما لأنها لا ترغب فيها.»

قلّد والدته بلهجة اسكوتلندية مبالغ فيها جعلت كايت تضحك، إذ قال: هذه الأمور المزعجة المقرفة.» استحسن ألكسندر التغيّر في مزاجها وقال: «هذا أفضل. كم أحب مرآك ضاحكة. فغمزة خدك تبدو جلية.»

نهض ليتجه نحوها ليلثم الغضن الصغير في خدها، ثم توارى في المطبخ قبل أن تجد كايت فرصة للإحتجاج، ليظهر بعد لحظات حاملاً طبقاً عليه فنجانا قهوة يتصاعد منهما البخار.

سألته، بعدما رشفت شيئاً من القهوة: «وهل وجدت والدتك شيئاً آخر لم تستطع اعتياده، أو الإنسجام مع والدك؟ فأنا لم أجد الأمر سهلاً في الحالين.»

«هل تتحدثين بناء على تجربة؟» سألها بلهجة ساخرة لم تعتدها من قبل.

«بناءً على الملاحظة، وعلى سبيل المثال، الزوجان

اللذان يملكان هذا البيت، بيني ويانيس. فزواجهما من أسعد ما رأيت، لكنهما...»

وضعت فنجانها على الطاولة وانحنت إلى الأمام تستعيد ذكرياتها ضاحكة. أضافت: «دار بينهما نقاش عنيف بشأن ذهاب بيني لملاقاة والديه في محطة القطار وهي ترتدي الشورت، وقد أراد أن ترتدي تنورة، لأنها تبدو في مظهر يدل على الإحترام كما قال.»

«وهل فعلت؟»

«فعلت ماذا؟»

«ارتدت التنورة؟»

شعرت بصوت ألكسندر جافاً، فنهضت واقفة. فقد كان نصف اسكوتلندي، لكن نصفه اليوناني كان يتفق مع رأي يانيس كما بدا واضحاً.

قالت: «نعم، فعلت. لكن لا أعرف ما إذا...» وكفّت عن الكلام وهي تعض على شفتيها حين التقت عيناها باللفتة الساخرة الموجّهة إليها.

قال: «ما كنت تغيرين ملابسك لو كان الأمر يخصك، وعندئذٍ كانت الأهواء الأنثوية لامرأة الأعمال التي فيك، ستعمل ما يرضيها.»

ران بينهما صمت على الرغم من أنه لا يبعث شعوراً بالراحة، وعندئذ تذكرت كايت صورة الفتاة الغامضة. فلنفترض أنها لم تكن يونانية أو اسكوتلندية... فهل أن خلافاً جوهرياً دق أسفيناً في علاقتها مع أليكس؟ وهل كان ذلك، السبب في إخفائه صورتها في نهاية الرف؟ وشعر بأنه حرٌ في عناقها، هي كايت، بتلك الرغبة المضطرمة في هذه

اللحظة؟ هكذا فكرت ملياً. فليتها كانت... لكن غريزتها أوحت إليها بأن الوقت لم يحن لتعرف الأجوبة عن الأسئلة المحرقة. فلم تكن على معرفة كافية بألكسندر، وكان ذلك واضحاً. فشؤونه، تخصه وحده بكل ما تعني هذه الكلمة.

تطلعت إلى ألكسندر منعمة النظر، فوجدت تعبيراً غامضاً على وجهه.

قال: «كما ترين، فإن الخلفيات المختلفة لا بد أن تكوّن عوائق لا يستطيع تخطيها أكثر الأزواج انسجاماً، ولكن حيث تكون الإرادة، كما تقول أمي، والحب...»

«الحب...» هكذا ردّدت كايت الكلمة بتنهيدة سرعان ما لاحظها ألكسندر.

مضى قائلاً: «فلنتحدث عن الوالدين، فماذا عن والديك؟ وهل ولدت في عائلة كبيرة العدد، وهل ينزع أشقاؤك وشقيقاتك إلى التفكير المستقل كما أنت؟ وإن كان الأمر كذلك، فلا بد أن والديك عاشا أياماً صعبة يحاولان إبقاءكم تحت السيطرة.»

«والداي؟» قالت كايت بصوت أجش جعل حاجبي ألكسندر يرتفعان دهشة: «لقد تخلى أبي عنيّ وأخي، ووالدتي...»

نهضت واتجهت نحو النافذة لتحدق في الشفق الأحمر. وقالت: «أنت لا تعرف كم كنت محظوظاً يا أليكس، لتولد في عائلة سعيدة كبيرة.»

انفجرت غاضبة وهي تقول: «على أي حال، ما الذي يميز العائلات؟ فعلى الأقل لم يعلمني أحد كيف أعتمد على

نفسي. أنا ناجحة، نعم، ومستقلة وما الخطب في ذلك؟ وقد تمكنت من تدبير شؤوني بنفسي، بلا مساعدة أحد، وبخاصة والدَي.»

أنهت كلامها بضحكة مريرة، جعلت ألكسندر يجفل.

قال بهدوء: «أنا آسف، فلو كانت لدي أدنى فكرة لما سألتك.»

نهض عن كرسيه وسار بهدوء ينضم إليها، لكنه لم يحاول لمسها وهو ينظر في وجهها، وقد بدت على وجهه مسحة قلق وانفعال، لم تستطع، ولم ترغب في إدراك عمقها وهي في اضطرابها الذهني ذاك. وقال: «ذات يوم، ربما يكون لك...»

أرجعت رأسها إلى الوراء بعنف، وعيناها تتقدان شرراً، وقالت: «إن كنت ستقول إنني قد أكوّن عائلة، فلن يحدث ذلك! فالأطفال ليسوا في قائمة اهتماماتي، وبالنسبة لي، يأتي الزواج الناجح قبل انجاب الأطفال، وفي حالتي، هذا لن يحدث طالما بقيت الأمور على ما هي، و...» أضافت بصوت مريع: «وإن كنت تعتقد أن العائلات شيء مهم لتتمنى لي واحدة، فلِمَ لم تكوّن عائلة لنفسك؟»

شهق بقوة كما لو أنها ألحقت به ضرراً جسدياً. ولاحظت امتقاع لون وجهه وتغيّر مزاجه. اقترب منها يغطيها بقامته الفارعة، وزمّ شفتيه وقال بصوت أجش: «أظن أن ذلك شأناً خاصاً بي، ولا يهم أحداً غيري.»

تراجع إلى الوراء كما لو أن قربه منها أصابه بالغثيان فجأة. وتناول سترته المرمية على ظهر كرسي بقرب الباب، وقبل أن يغيب في ظلمة الليل نهائياً، استدار نحوها.

«أشكرك على تكلفك عناء تحضير المأدبة. كان الطعام شهياً.»

التقت أعينهما كما عبر حاجز منيع كوّنه شعاع الضوء المنبعث من المدخل، وبعد لحظة غاب ألكسندر وسمعت صوت انطلاق سيارته وعجلاتها تثير الحصى، وتناهى إليها صوت المحرك المتلاشي، ثم حلّ السكون...

بقيت كايت وقتاً طويلاً تحدق في الظلمة، تصارع أفكارها في خليط مضطرب من الكلام والصور، حتى عبثت نسمة باردة بحاشية تنورتها وارتجفت برداً.

عادت إلى البيت ويداها متشابكتان، ثم دفعت الباب بقدمها وجلست على ذراع الكرسي وحدقت إلى سجاد الغرفة.

كيف جرؤ على التخلي عنها كما فعل؟ فقد أعطى لنفسه الحق في أن يسألها ما يشاء، ويبني افتراضات حول عائلها، لكن عندما اقتربت الموسى من ذقنه، لم يعجبه ذلك، أهذا ما حصل؟ وأعتبر ملاحظتها الأخيرة، التي حملت كل غضبها الكامن، بمثابة مسّ بشؤونه الحميمة. وقعت عينها على فنجانه الذي بقي نصفه مليئاً، واعترتها الرغبة في التقاطه ورميه على الأرض. ولكنها تذكرت انها تقيم في بيت لا تملكه، فعدلت عن ذلك بشعور من الإحباط.

كان عليها أن تعرف الإتجاه الذي اتخذته المحادثة قبل فوات الأوان. أدركت ضعفها فيما يتعلق بموضوع العائلات. وكانت قنبلة مايكل نكأت كل الجروح القديمة التي ظنت أنها اندملت، ثم جاءت تلك الصورة...

قضت ليلة مضطربة وهي تتقلب في فراشها، يلازمها

الأرق، وقد استعادت ذاكرتها كل لحظة من الأمسية التي بدأت بجو ممتع وانتهت بما يشبه الكارثة، وقالت لنفسها بغضب، إنها لم تقصد أن تنتهي السهرة هكذا، وضربت الوسادة مراراً، وما هي الأشياء، التي تشاركه الرأي بها؟

مع ذكرى عناقه اللطيف ذهبت كايت في نوم قلق، لتستفيق ثانية والشمس لم تكد تشرق، منزعجة من صورة عيني أليكس الرماديتين ووجهه الذي لازم أحلامها.

تساءلت مكتئبة، وقد سمحت لأول بادرة ندم بأن تتسرب من مخيلتها، عما إذا كانت مسّت شعوره بسؤالها القارص؟ أو جرحت كبرياءه اليونانية؟

عرفت كايت الأهمية التي تعلقها العائلات اليونانية على استمرار التوالد الذكري والتوارث أباً عن جد، ولا شك أن ألكسندر في الثلاثين من عمره أو في الخامسة والثلاثين ومؤهل للزواج ليكون أباً لأطفال عدة.

ثم خطرت لها فكرة، وكانت صورة الفتاة بالطبع! فكيف أمكنها أن تنساها؟ فما كان ألكسندر ليثور غاضباً تلك الليلة، لو كانت غابت عن باله! لكن ماذا بشأن ذلك العناق، وتأكيده على كونه رجلاً شريفاً مستقيماً؟ كيف تكون معانقة فتاة، في وقتٍ يحب فيه الرجل امرأة أخرى، من الشرف بشيء. وكان هناك أكثر من سبب جعل أفكارها تتصارع بصخب.

أدركت أن تصرف ألكسندر هو برهان قاطع على نظريتها القائلة بعدم الوثوق بأي رجل، مهما بان عليه الشرف أو ادعاه. فلم يكن أفضل، أفضل بكثير من مايكل.

عندما فقدت أي أمل في عودة النعاس إلى عينيها، مع

علمها أنها جاءت لترتاح في هذا المكان، نهضت كايت ونزلت إلى الطابق السفلي لتحضر فنجان قهوة آخر، وقد ذهلت لرؤيتها إبريق الترشيح في مكانه على الموقد مليئاً حتى النصف، وكل الصحون التي تركتها على الطاولة، الليلة الفائتة.

فكّرت مغتمة، أن غسل الصحون سيمحي صورة أليكس من مخيلتها على الأقل، حين فتحت صنبور المياه. ويا ليتها لم تفعل! إذ كانت ترى في كل صحن أو كأس استعمله، وجهه الضاحك وهو يأكل أو يشرب. أما الفنجان الذي تركه في غرفة الجلوس وأرادت أن تحطمه، فقد كان في طريقه إلى شفتيها قبل أن تدرك ما تفعل.

عنّفت نفسها قائلة: «كفى.» وغطست الفنجان في المياه الساخنة، وقالت لنفسها: «تتصرفين مثل مراهقة مخبولة، بينما أنت امرأة ذات سيرة عمل ناجحة مستقلة، لديك أعمال تديرينها وتنتظر عودتك إلى بلادك.»

تناولت منشفة وأخذت تجفف الصحون بحماسة كادت تمحو الرسوم عليها. وأضافت: «من المؤسف أنك استمعت إلى صوت ليز المسماة صديقة وجئت إلى هذا المكان حالاً.»

لكن ما كان عليها أن تبقى فيه، أليس كذلك؟ فقد حمل إليها كل سوء طالع. فما كان المال يعوزها، فلم لا تنتقل إلى مكان آخر، ربما إلى فندق، حيث تجد أناساً آخرين تتحدث إليهم، أو تراقبهم على الأقل فتنسى شجونها؟ كانت في حاجة إلى الصحبة وإلى الأصدقاء وليس إلى العزلة.

شعرت كايت براحة بعد توصلها إلى هذا القرار، حتى

أنها اتخذت خطوات أولية في توضيب أمتعتها قبل أن تنظر إلى الخرائط لتضع مخطط تطوافها.

لكن، ألم يكن واجباً أن تسوي خلافاتها مع أليكس قبل المغادرة؟ كانت تكره صرف النظر عن مسألة لم تنتهِ منها. وليس من العدل أن تحتفظ بشكوك بشأن صورة لم تستطع البرهنة على صدقها. أما كان عليها أن تمنحه فرصة إزالة الإرتياب الذي يجيش في فكرها قبل أن تضعه في مرتبة واحدة مع مايكل؟

قد كان، على الرغم من كل شيء، شديد اللطف معها في غير مناسبة، وربما كانت تدين له بنوع من تبرير موجة غضبها.

لما لم يكن لديها هاتف، لم يبق أمامها سوى طريقة واحدة...

لو قادت كايت سيارتها في نهار غير ذلك النهار لاستمتعت بالقيادة ومياه البحر البراقة تتماوج على جانب الطريق، فيما تترامى منحدرات جبال تايجيتوس المغطاة، في هذا اليوم من السنة، بمجموعات من الزهور المتفتحة، لكنها كادت أن لا تلاحظ شيئاً من ذلك وهي تتقدم بارتعاش متزايد، وتترقب مواجهة ألكسندر. فمن يعرف، ليس هي على أي حال، في أي مزاج قد يكون؟ فقد يرفض حتى مجرد رؤيتها...

عندما وصلت إلى قريته، كان الوقت باكراً، لكنها لم ترَ أثراً لسيارته، ولم تتلق جواباً عندما قرعت الباب الأمامي.

خارج البيت، تساءلت عما يجب أن تفعل تالياً، عندما فتحت امرأة نافذة في بيت مجاور، وابتسمت لها.

سألت مستفهمة: «تريدين السيد ألكسندروس؟» وهزت كايت رأسها بالإيجاب، وقالت: «هل تعرفين مكانه؟»

«في الفندق.» قالت وهي تومىء باتجاه التلة التي وراءهما. وأضافت: «إنه في الفندق.»

شكرتها كايت وأطلقت تنهيدة ارتياح، وعادت إلى السيارة، فقد قررت الأقدار جمعهما في لقاء أخير، على الرغم من كل شيء. حسناً، فليكن ذلك.

وبما أنه لا يوجد فندق آخر على اللسان الأرضي، كان لا بد من أن يكون ذلك الفندق هو المكان المقصود، هذا ما دار في نفسها بعد دقائق، حين انعطفت في زاوية، فوجدت نفسها، في نهاية الطريق، على طرف بقعة قطعت أشجارها وظهر في نهايتها بناء حجري غير مرتفع في طور البناء.

انتشرت في المكان، مجموعة متنوعة من الحفارات والشاحنات وأكوام مواد البناء وكل ما يتوقع المرء رؤيته في مكان كهذا، وغير بعيد عن ذلك توقفت سيارة أليكس، ولكنها لم تر أثراً له. بقيت كايت في سيارتها، تنتظر أن يظهر في أي وقت، وقد حزَّ في نفسها غيابه الواضح. لكن بعد عشر دقائق من الإنتظار من دون أن تلمحه في أي مكان، مشت باتجاه بناء الفندق، غير المكتمل، الجاثم على قمم الصخور.

قد أدركت أنها، بسماعها أصوات الطرق وضجيج العمل الآتية من الداخل على الأقل، ربما تجد أحداً يقول لها أين يكون.

بدا أن جميع الأعمال تجري في ما قدرت انه فندق، مشت

في سبيلها بحذر شديد بين أكوام الحجارة وأكياس الباطون، ثم توقفت وقد فغرت فاها دهشة، حين انعطفت في زاوية، لدى رؤيتها المشهد الخلاب الذي ترامى أمامها وتحت قدميها.

لا عجب في اختيار ألكسندر هذا المكان لإقامة فندقه! أذهلها المنظر الجميل، وحدّقت كايت بعينين واسعتين، وقد نسيت ما كانت جاءت من أجله، إلى الجبال التي طوقت البقعة وازدادت وضوحاً، بعذريتها وجلالها، تحتضن أعشاش النسور وتشرف على الحوض البحري الذي تهادت فيه قوارب الصيد التي اشترى ألكسندر من بعضها السمك ذلك اليوم، وقد بدت أشبه بألعاب أطفال في عيني الناظر من أعلى. وعندئذٍ رأت البحر يمتد حتى الأفق، تتلألأ مياهه، تتراوح ألوانها بين الأخضر والأزرق، وقد تنقطّت صفحته بما لا يحصى من نقاط الزبد الأبيض على رؤوس الأمواج التي كوّنتها الريح.

وقفت هناك كايت، مسلوبة الأنفاس، تتساءل مشوشة التفكير عما إذا كان بإمكانها أن ترى الميناء من هنا، أو حتى منزل ألكسندر.

مشت خطوة خطوة نحو حافة الشاطىء، لتستمتع برؤية مشهد أجمل لما امتد تحت النتوءات الصخرية. وحين انحنت لتقطف شيئاً من مجموعة من الأزهار البعيدة عن متناولها، بدأت قدمها تنزلق...

«أوه!»

لحظة شعورها بالسقوط، تجمّدت الصرخة في حلقها، وشدتها إلى الوراء، بعيداً عن الكارثة، ذراع قوية قبضت على يدها بقوة فولاذية كادت تخلعها من الكتف.

دفعها ألكسندر بعيداً عن ركام الصخور الخطر لتقف على الأرض الصلبة، ولتجثم عليها وتحملق فيه وتمسح كدماتها.

«أيتها المجنونة الصغيرة! ماذا كنت تنوين ارتكابه؟ تحاولين قتل نفسك؟»

«بالطبع لا، فما جعلك تتصرف بقسوة؟ كان يمكن أن تكسر ذراعي وأنت تشدني كما فعلت!»

نهضت كايت وهي تحملق في عيني منقذها، وقد شعرت بالذنب لتهاونها الذي صب الزيت على نار انزعاجها من تعامله غير اللائق معها.

قال لها واجماً: «كان يمكن أن تصابي بالكثير من الكسور لو لم أصل إليك في الوقت المناسب. ولدي أعمال أقوم بها أفضل من الإنتباه للمتطفلين الذين يرودون المكان من غير وجه حق، ويخاطرون بكسر رقابهم كما فعلت. إذاً ستعذرينني...»

استدار على عقبيه واتخذ طريقه نحو الفندق وقالت له غاضبة: «إن كان المكان خطراً، لتوجُب عليكم وضع إشارة تحذير، فقد تغري أياً كان نفسه بأن يرود المكان للتمتع بمشاهدة هذا المنظر الذي لا يحيطه حاجز مانع.»

رد عليها قائلاً بفتور: «هذه ملكية خاصة. وعمالي يعرفون جميع المخاطر هنا، ولو نظرت ملياً للاحظت تلك اللافتة.»

أشار إلى لوحة مغبرّة غرست قائمتاها في الأرض في زاوية مصدّعة على بعد خطوات.

قالت كايت عابسة: «لا فائدة منها، فهي مكتوبة باليونانية.»

ذكّرها ألكسندر بلهجة تفيض منها السخرية: «لكن الناس هنا يونانيون، وليست المنطقة للسياحة... حتى الآن.»

حدّق ألكسندر إلى كايت: أجفلها التحديق البارد، الموجّه إليها، الخالي من أي أثر لطبعه المعروف، الذي يكمن وراء العينين الخاويتين من أي تعبير، الآن.

كانت خوذة عامل بناء معدنية ثقيلة قد غطت شعره الأجعد المشعّث وجعلته يبدو أكبر سناً وأقسى مزاجاً. وكان فمه، الذي تذكرت كايت، بألم مرير، كيف عانقها بحنان، مزموماً بغضون لم ترها من قبل.

قال وقد رفع أحد حاجبيه بحركة ساخرة: «هل يمكنني الوثوق بأنك ستغادرين بلا متاعب؟ أو قد تحتاجين إلى من يرافقك؟ أنا واثق من أن كوستاس سيهتم بك، وستعذرينني لأنني لن أذهب بنفسي. فأنا مشغول جداً الآن.»

شعرت كايت بنفسها تتضاءل حتى التلاشي عندما رأت كوستاس، الصبي، يتطلّع إليها باهتمام من مدخل الفندق، بقامته التي لا تكاد تبلغ خمس أقدام، فيبدو في عيني ناظره كتلميذ لم يغادر المدرسة.

أجابت: «يمكنني تدبر أمري تماماً أشكرك.»

ثم ترددت وقالت: «لكن هناك شيء...» وكفت عن الكلام. وهزّت رأسها فغطى شعرها الكثيف الأملس وجهها، وأضافت: «لا، دعك من ذلك، فلا شيء مهماً. فلن تصغي إليّ على أي حال.»

سمعت تنهيدة امتعاض تكشف نفاد صبره، حين استدارت لتذهب. وقال: «أنت هنا، ولا بد أنك اجتزت كل تلك الطريق من أجل شيء ما... أو هل كنت تمرين مرور الكرام بالمكان؟

يكاد ذلك لا يكون صحيحاً، فالطريق تنتهي هنا.» أضاف بلهجة ساخرة، وهو يقترب منها بخطوات أوحت إليها بالخوف، ويخفض صوته إلى حدّ يجعله بعيداً عن مسمع كوستاس، وقال: «أو كنت تفكرين ببعض الملاحظات الجارحة التي أردت إضافتها إلى تلك الإهانة الشديدة التي تلقيتها منك مساء أمس؟»

ما كان في وسع كايت أن تنظر إلى تينك العينين اللتين فاضتا وجوماً، فحدقت في الأرض وهي تعبث ببعض الحجارة برؤوس أصابع قدمها.

قالت بصوت خافت: «لا، لم أكن أمر من هنا، جئت أبحث عنك... لأقول لك شيئاً قبل أن أغادر.»

ردّد ألكسندر: «تغادرين؟» واختض جسمه كما لو أن كلماتها مسته بتيار كهربائي، لكنها لم تجرؤ على النظر في وجهه.

قالت بصوت أجش: «جئت لأعتذر، ولأقول لك إني نادمة على ما حدث ليلة أمس، كان شيئاً لا يغتفر. وقد تمالكت نفسي... بعدما... حسناً، وذلك شيء غير مهم، ولا عذر لي على التنفيس عن غضبي، بإيذائك.»

صرّت بقوة على أسنانها، ثم أخذت نفساً عميقاً وقالت: «أنا آسفة يا أليكس.» ورفعت يديها لتتركهما تسقطان بتثاقل على جانبيها، وأضافت: «لن أزعجك بعد الآن، أنا ذاهبة في سبيلي.»

استدارت من غير أن تنظر إلى عينيه، خوفاً مما قد تقرأه فيهما، وأحنت رأسها بأسرع ما أمكنها نحو سيارتها ونحو الآفاق الجديدة التي بانتظارها.

الفصل الخامس

لم تكن كايت قد قطعت مسافة طويلة عندما سمعت صوت ألكسندر وهو ينادي كوستاس بقسوة، ووقع خطى تتبعها، ويبدو الأخير قد تلقى أوامر، على الأرجح، بمراقبتها للتأكد من ابتعادها عن المكان.

قالت كايت متلعثمة: «أليكس، خلتك كوستاس. فقد سمعتك، تناديه...»

«كنت آمره بالإهتمام بعمله.» قال لها ألكسندر باقتضاب، ثم أسند ظهره إلى سيارتها ويداه متشابكتان وحدّق في وجهها، بعينين خاليتين من أي تعبير.

سألته غاضبة، بكلمات قاطعة، فاقت ما توخته، وهي تحاول مقاومة الخفقان العنيف في صدرها. «لماذا تبعتني، إذاً؟ ظننتك متحمساً لرؤيتي أغادر.»

«تحدثت عن المغادرة من قبل.» قال ألكسندر بلهجة تخلو من العاطفة: «فهل كنت تقصدين بكلامك هذا المكان، أو البيت المنعزل... أو ربما اليونان.»

«البيت المنعزل.» قالت له بحزم: «أظن أن الوقت حان لأرى مشاهد أخرى، فهذه البلاد واسعة، ولدي سيارة أرودها بها، ويمكنني أن أسافر على جناح السرعة، إذا أعذرتني؟»

حاولت مدّ يدها بين جسمه والسيارة لفتح بابها، لكن ألكسندر حال بينها وبين ذلك. بجسمه الكبير، إذ لم يتحرك قيد شعرة.

قال: «هل صممت على ذلك؟»

«صمّمت.» ردّت حالاً: «فلِمَ تجمدّني هنا؟ فإقامتي لم تلق نجاحاً مميزاً، حتى لو رأيت ما يخالف ذلك.»

«ماذا يحصل إذا وقعت في مزيد من المتاعب في وسط اليونان وأنت بعيدة عمن يمد إليك يد المساعدة؟» وفاضت عيناه الرماديتان بتعبير ساخر وهما مثبتتان على وجه كايت. كظمت غيظها بجهد.

«أمضيت عمري وأنا أهتم بنفسي بنجاح تام. أشكرك، ولست أنوي تغيير طريقة حياتي بسبب حادثة مزعجة. لذا، فإن خدت عن طريقي، يا سيد ديميتراكوس، سأذهب في سبيلي ولن أزعجك بعد الآن.»

«حسناً! إن كان ذلك ما تريدين.»

نشر ألكسندر يديه وحاد إلى جانب، خطوتين، وقال: «لكن ثمة شيء أريد أن أقوله قبل أن تغادري، بما أنك تحملت عبء المجيء إلى هذا المكان.»

تردّدت كايت ويدها على باب السيارة المفتوح وتنتبه، بفضول إلى نبرة صوته الجديدة، الأقل جفاءً.

«حسناً؟»

رأت ابتسامة ماكرة ترتسم على وجهه: «ربما فات الأوان على إجراء تعديل على خططك، لكن عليك أن تعرفي أنني أقبل اعتذارك... بشرط واحد.»

جلست كايت على مقعدها تتطلع إليه ببرود وقالت بجفاء: «لست مضطراً إلى قبوله، وأؤكد لك أنني صادقة في اعتذاري، لكن ربما تشعر بأن عليّ أن أقول شيئاً آخر... من قبيل التذلّل؟»

«لا، لا بالطبع، أنت تسيئين فهمي.» واستدار ألكسندر وقد ضاقت عينه، وهو يحدق باتجاه البحر، بفعل ضوء الشمس.

«ما كان عليَّ أن أتخلى عنك أمس يا كايت. كنت فقط...» ومضى في كلامه وهو يدير ظهره لها، وقد انحنت كتفاه، فعرفت كايت أن شيئاً يفوق جرح كبريائه، كان السبب المفاجيء في المساء الغائب وصمته المطبق، شيئاً ما لا تجد سبيلاً إلى معرفته، ليس بعد.

سألته بابتسامة باردة: «إذاً يمكن أن نكون صديقين ثانية. وقد يكون خيراً لنا أن ننسى ما حدث مساء أمس...»

«كل ما حدث يا كايت؟» وأقبل ألكسندر يجثم أمام باب السيارة، وأضاف: «سيكون ذلك أمراً مؤسفاً.»

هكذا تناهى صوته إلى مسمعها وعيناه ترودان ملامح وجهها.

قال: «نحن صديقان بالطبع، وأظن أن علينا قضاء بقية اليوم معاً لنؤكد ذلك. فقد تكون هذه فرصتنا الأخيرة إذا قررت الذهاب غداً، ما رأيك؟»

عنَّفت كايت نفسها، في سرها، قائلة إن كان عليها الإنطلاق بسيارتها عندما حانت الفرصة، وقد أدركت أن لا سبيل للفرار في هذه اللحظة. فكيف يمكنها الإصرار على المغادرة الآن؟

«ماذا يجول في فكرك؟ تفترض دائماً أنني لست على عجلة من أمري للذهاب بالطبع.»

أجابها ألكسندر بالموافقة وقال: «بالطبع، فلست مستعجلة، أليس كذلك؟ فأنت لم ترسمي أي مخطط حتى الآن.»

اعترفت قائلة: «هذا صحيح... بالطبع.» انطلقت الكلمات من خلال شفتيها دونما قدرة على وقفها، وقد شعرت بإذعان لا يُرد.

«حسن.» ونهض ألكسندر واقفاً دفعة واحدة. وأضاف: «لا يوجد الكثير مما يمكنني القيام به هنا اليوم، لذا لا شيء يمنعنا من الذهاب الآن.»

حملقت في ذلك الوجه البهيج الذي أطلَّ من نافذة سيارتها حين كانت تجلس فيها خارج منزله، لكن قبل أن تستطيع التفوه بالكلام الغاضب الذي كاد ينهمر من شفتيها، كان ألكسندر قد انطلق في الشارع ونادى عليها من فوق كتفه: «إبقي هنا لحظة، عليَّ أن أرى أحداً بشأن عمل ما.»

قالت كايت لنفسها، إن كان عليها أن تحنق من مناكداته المستمرة، فهذا شيء لم تعتده من قبل. لم يزعجها مايكل يوماً، كان دائماً جدياً في كل شيء، الحياة، العمل، كل شيء. وربما اتخذت علاقتها معه منحنى آخر، لو كان عنده القليل من روح المرح، أو رقصت عيناه بتهكم لطيف، مثل عينا أليكس عندما كان يعانقها.

خرجت كايت من سيارتها ووقفت تنعم النظر في مياه البحر وهي ترتطم بقوارب الصيادين برفق، وقد ربطت مراسيها بالرصيف الممتد أمامها. كيف سينتهي هذا اليوم؟ تساءلت وقد شعرت باختلاجه تحت أضلاعها. فهل سيأخذها ألكسندر بين ذراعيه، بعد نوبة غضبها التي انفجرت البارحة؟

تناهى إلى مسمعها صوت يقول: «لا يمكن أن تكوني مصابة بزكام، إلا إذا عاودك المرض؟»

استدارت كايت بغتة، وقد أفاقها صوت ألكسندر من غمرة أحلامها فيما كان واقفاً وراءها، وسقطت يداها وهي تتطلع إليه بنظرة خجلى، تمور شوقاً وغراماً وأكدت له: «لا، لست مزكومة، بل تراءى لي أن أحداً يمشي فوق قبري.»

رأت الألق المثير، في عينيه، يتلاشى حين أقبل ووقف إلى جانبها، يكاد يلتصق بها، لكنه لم يحاول لمسها.

قال بصوت رقيق: «دعك من ذلك الشخص، في هذا اليوم على الأقل. فليس عليك إلا أن تريحي أعصابك وتمتعي نفسك، فهذا هو سبب مجيئك، أليس كذلك؟»

هزت كايت رأسها بالموافقة.

أضاف: «هيا بنا الآن، أو لن نجد متسعاً من الوقت لرؤية شيء.»

أمسك يدها وقادها إلى سيارته، وقال: «جولة برفقة دليل، ومن ثم غداء، وعندئذ نرى إلى أين ستقودنا أحلامنا، أليس كذلك؟»

لم ترَ كايت ما يشير إلى أنه يخفي مقاصد وراء كلماته، وجلست في مقعدها وأطلقت تنهيدة تعبر عن سرورها بالتنعم بهذه الرحلة.

أنزلها ألكسندر من السيارة بقرب وسط أريوبوليس وهو يشير إلى الحانة التي سيتناولان غداءهما فيها، وقال لها إنه سيوافيها في غضون ساعة.

أضاف، مبتسماً: «هل ستكونين على مايرام حتى ذلك الوقت؟ لا، دعك من الفظاظة، كان ذلك سؤالاً مهذباً، وليس طعناً بقدرتك على الإهتمام بنفسك. انظري، هناك كنيسة صغيرة جميلة مليئة بالرسوم الجصيّة الجدارية. وإذا

تعثرت بأكوام البضائع المتروكة في الخارج، فلا تقلقي، فهم يتركونها تحت رعاية شفيع البلدة ويذهبون للقيام بأمور أخرى.»

انعطف بسيارته واختفى في أحد الممرات الضيقة الذي يؤدي إلى ما كان يشكل السوق الرئيسية، المشكلة من خليط المنازل والمتاجر وفي نهايته الكنيسة التي تحدث عنها. وقد أكد على كلامه، وجود أكوام من الحقائب والسلال التي تركها المتسوقون المؤمنون بقدرات شفيعهم.

ارتفعت معنويات كايت وهي ترى المشهد المحبّب في جوّ من الأمان، داخل المبنى الصغير القاتم اللون. ثم خرجت إلى النور وهي تشعر بأن التوترات التي اجتاحت نفسها بعد انفصالها عن مايكل، تهدأ تدريجاً، كما لو أنها تركت أعباءها جميعاً في عهدة القديس إلى جانب مع مئات من حقائب الخضار.

مشت كايت على مهل، غير مدركة وجهة سيرها، سعيدة لاندفاعها بين الجموع، تتمتع برؤية المشاهد والأصوات التي تضج في هذه البلدة الوادعة، الجذابة. وقادتها خطاها إلى الأزقة الضيقة التي تكسو جدرانها العالية النباتات المعربشة في وقت لاحق من السنة، وغرقت في التفكير حتى ذكّرتها رائحة الخبز الطازج، المنبعثة من فرن قريب بجوعها ومن ثم بموعد غدائها مع أليكس.

حثت كايت خطاها وهي تخشى التأخر عن ملاقاته، لكنها وصلت في الموعد المحدّد وابتسامة على محياها. فقد كانت هذه اليونان، حيث تعني كلمة النادل «أنا آت حالاً» أنه لن يعود إلا بعد مرور ربع ساعة أو ثلثها على الأقل. إذاً لِمَ

العجلة؟ الوقت ليس شيئاً مهماً هنا، وكان لديها وأليكس الكثير منه.

قالت له حين وصلت إلى الحانة التي كان ينتظرها فيها مستنداً بظهره إلى الحائط ومتأملاً حركة الناس أمامه: «آمل ألاّ تكون في انتظاري منذ وقت طويل.» وأضافت: «آسفة، فقد همت على وجهي ونسيت الوقت.»

انتصب ألكسندر واقفاً، وابتسم وقال: «وصلت منذ وقت قصير، قولي لي أين ذهبت.»

قادها عبر الحانة إلى مصطبة في الهواء الطلق تقع وراءها، وهي تحدثه سعيدة عما رأته في جولتها القصيرة في البلدة. لكن بعدما جلسا إلى الطاولة في انتظار وصول أول صنف من الطعام، وجدت كايت صعوبة في متابعة هذه المحادثة الطليقة، غير الرسمية، كما لو أن شيئاً لم يحصل.

أخذت بعضاً من الخبز لتقطعه شرائح صغيرة وتضعها حول حافة صحنها بتركيز شديد.

أخذت تقول مترددة وقد أشاحت بوجهها: «بشأن الليلة الماضية، كان عليّ أن...»

قاطعها ألكسندر برفق قائلاً: «أظن أننا اتفقنا على نسيان كل شيء، وقد اعترفنا بأننا قلنا أشياءً كان خيراً لنا ألاّ نقولها. أفليس من الأفضل أن نترك لغو ما حدث فيه؟»

رفعت كايت عينيها إلى وجهه وقالت: «أعتقد ذلك، لكن أردت أن أوضح... أن كل ذلك حصل في وقت بعيد، وكما قلت لك، ذلك لن يزعجني بعد الآن، وقد رميته وراء ظهري. كنت مخطئة بلا شك، وقد فجرّت كل العواطف التي كنت أكبتها منذ سنين.»

ابتسمت له ابتسامة واهنة، وأضافت: «هذا ليس عذراً وأعرف ذلك، لكن مشكلات مختلفة حدثت في حياتي أخيراً وحطمت كل آمالي العاطفية، وحين اقترحت عليّ أن أكوّن عائلة صغيرة لي لأعوض...»

تهدّج صوتها حين مدّ أليكس يده عبر الطاولة ليغطي يدها بها. وقال بصوت رقيق: «قلت لك، سننسى كل ذلك. أعتقد أن ثمة براكين كامنة في أرواح معظم الناس تنتظر شرارة لتنفجر.»

رأت كايت عبوساً يغطي وجهه وغضوناً تلوي ثغره كما حصل في مشاحناتهما في وقت مبكر من الصباح، لكنها لم تجد فرصة سانحة لكشف السبب، فقد جاء النادل بأول صنف طعام، وتلاشى جو الكآبة بسرعة كما حلّ.

قال لها وهو يقدم إليها صحن السلطة: «إذاً دعيني أحدثك عن فندقي. فقد أذهلك منظره وأثر في نفسك كما لاحظت.»

ومض في عينيه بريق المكر، ووجدت كايت نفسها عزلاء ثانية في مواجهة مزاحه المرح الذي جعلها تنسى، ولو في الوقت الراهن على الأقل، الشكوك والظنون التي أرّقتها حتى منتصف الليلة الماضية وحملتها على الذهاب بحثاً عنه في وقت مبكر من الصباح.

قالت له: «علي أن أترك البناء يحكم على نفسه عندما يكتمل، لكن إذا كان مثل فندق ألكسندروس...»

«يا للسماء، ما هذا يا كايت؟» ردّ عليها أليكس بعنف عابساً، وأضاف: «لن يكون مثل فندق ألكسندروس البتة،

وليس الترتيب نفسه.» وضرب قطعة بندورة بشوكته وهو يحملق في وجه الفتاة.

قالت بلهجة مهادنة: «أنا آسفة. لم أقصد الإنتقاص منه، لكن فندق ألكسندروس كان مريحاً حقاً، حتى لو لم تكن المناظر التي يطل عليها ممتعة.»

«هذا ما أتمناه. أتمنى أن تكون فنادقي كلها مريحة، لكن هذا الأخير سيكون في درجة عالية من الفخامة، أعني في قمة الفخامة، وأنا مصمم على أن يكون أفخم فندق في اليونان قاطبة.»

«أرى ذلك.» قالت كايت متأثرة بكلامه: «أنت قلت، جميع فنادقي، فكم فندقاً تملك إذاً؟»

«أوه، دعينا نرى.» ومال أليكس بجسمه الضخم إلى الوراء، على كرسيه، وأخذ يعدّ على أصابعه، وقال: «هناك فندق لم أفكر في إطلاق اسم عليه، وقولي إن كانت لديك فكرة... وفندق ألكسندروس بالطبع، وفندق أبولو قرب معبد مدينة دلفي الأثرية، وفندق زيوس وفندق آخر باسم ألكسندروس قرب مدينة سالونيك، وهذا كل ما أملكه من فنادق. ثم هناك بالطبع مجمّعا شقق أو ثلاثة، واحد في أثينا، وآخر في مدينة كورنتوس، وثالث...»

«كفى، كفى.» صرخت كايت بانذهال ساخر: «لا أستطيع تحمل سماع المزيد. فكم كنت سعيدة لامتلاكي متجري ألبسة فحسب...» وهزّت رأسها بأسى، وأضافت: «وكما سترى هو إنجاز ضئيل ومثير للشفقة.»

«لا شيء من ذلك البتة، فلا أعرف سنك، وأظن أنني لن أسأل، لكن فكري في عدد المتاجر التي ستفتحينها عندما

تصبحين في مثل سني، وقد تملكين سلسلة منها، ولا عجب في ذلك.» وأضاف مستدركاً: «إلا إذا حدث شيء يغيّر اتجاه حياتك برمته، فلا تعرفين أبداً...»

حدجته بنظرة محذّرة وقد أدركت مغزى مقاصده. وقالت: «لا يبدو ذلك، فقد أحرقت أصابعي مرّة، وهذا يكفيني.»

ركزت اهتمامها على الطعام اللذيذ تستسيغه بإعجاب، وأتت على طبق السوفلاكي بتلذّذ واضح، وعندئذٍ مالت بجسمها إلى الوراء، وأطلقت تنهيدة ارتياح.

«كانت وجبة ممتازة، أعتقد أنني لن أستطيع تناول طعام آخر لمدة أسبوع على الأقل.»

«شيء مؤسف. كنت أظن... لا، لا بأس في ذلك. ربما تعوزك التجربة.» وأضاف وهو يقف على قدميه ويمسك يدها لتنهض من على كرسيها: «هناك شيء لا بد من أن تشاهديه، وهو تمثال أحد أبطالنا، إلا إذا رأيته. لكن لو كان ذلك، لتحدثت عنه. إنه مشهد مؤثر.»

سألته كايت: «هنا؟»

«إنه ماقروميكاليس العظيم، قائد المقاومة، أعتقد أن هذا ما يطلقون على الأبطال في أيامنا هذه، إنه الرجل الذي قاد الإنتفاضة في وجه المحتلين الأتراك. ولا يمكن لعينيك إلاّ أن ترياه حين تمرين في الساحة.»

جعد حاجباها، وقالت: «لا، لقد ذهبت نزولاً في الشارع الرئيسي، إلى الأزقة الضيقة في أسفل البلدة، ولم أر تمثالاً قط، بل كنائس فحسب.»

«صحيح، هيّا بنا إذاً.»

دفع أليكس ثمن الطعام وقاد كايت إلى الشارع ثانية، وعندئذٍ قال بفخر: «ها هو ينتصب هناك، فكيف ترينه؟»

«يا إلهي.» قالت كايت من فرط الرهبة، وحدّقت عالياً في التمثال العملاق، القائم على قاعدته، بوجهه ذي الشاربين وبساقيه في الحذاء العالي الساقين، وإحدى يديه تستند إلى سيف عظيم مقوّس. وأضافت: «مؤثّر جداً، كما قلت تماماً.»

«ولا يشبه صاحبك مايكل كثيراً كما أظن.» تمتم أليكس بصوت خافت من ورائها.

استدارت كايت بغتة وقد شعرت بأنها أخذت على حين غرة، وقالت: «صاحبي مايكل، لكنني لم... وكيف عرفت؟»

«لم أعرف... كان ذلك مجرّد ظنّ. فعندما ذكرت اسم **مايكل الأسود** البارحة تأثّرت، وربما بلا وعي، لكن عرفت أن الإسم يعني لك شيئاً ولا بد. وبعد ذلك رأيت تلك الدموع التي انهمرت بعدما تحامقت وسألتك عما إذا كان ثمة شخص مميز في حياتك... كنت استنتج شيئاً من الوقائع، وهذا كل شيء، أنا آسف، فربما كان عليّ ألاّ أسأل عن شيء.»

«لا، لا يشبه مايكل الذي أعرفه بشيء، إنه ليس لي، ولن يكون بعد الآن. لهذا السبب...»

تهدّج صوتها قليلاً عندما شعرت بذراع أليكس تطوق كتفيها. وتابعت: «لهذا السبب جئت إلى هذا المكان لأنساه، وأنسى كل شيء.»

أدارها أليكس بذراعيه برفق لتواجهه، فقالت له: «هل

تريديني التحدث عنه؟ بإمكاني أن أتحمل ذلك أحياناً.»

للحظة واحدة شعرت كايت بأنها ترغب في إخباره كلّ شيء حتى في ما يتعلق بكارول وجنينها.

قالت: «أنا...» ثم هزّت رأسها. وتابعت: «لا، لا أظن ذلك، لا أريد استحضار ذكراه وذكرى ما فعله، بخاصة في هذه اللحظة. ألم يحن الوقت لتقول لي شيئاً عن نفسك، أكثر مما قلته بشأن عدد فنادقك؟ فماذا بشأن صديقاتك؟ هل ثمة واحدة مميّزة؟ والفتاة التي تحتفظ بصورتها على سبيل المثال؟ فمن هي؟ ألن تمانع في أن تصحبني إلى الغداء خارجاً، أو في شيء آخر؟»

كان السؤال قد أصبح واضحاً قبل أن تستطيع كايت لجمه، فتمنت فوراً لو لم تفصح عنه. وكان أليكس ممسكاً يدها في تلك اللحظة، فتركها وحملق بعينين ضاقت حدقتاهما، إلى الساحة المزدحمة بالناس وقد أغرق يديه في جيبي سرواله. وعندما التفت إليها، رأت قسمات وجهه قد تصلبت كما لو أنها قدت من حجر صلب.

تحدث بصوت أجش خافت جعل كايت تجفل: «تلك الفتاة، يجب ألا تقلقك، وبإمكاني أن أؤكد لك ذلك، وأنا آسف لأنك ظننت أني ذلك الرجل الذي يعانق فتاة كما عانقتك، وفي الوقت نفسه يحب فتاة أخرى...»

كفّ عن الكلام، واضطرمت وجنتا كايت، يسوطهما لهيب نظرته، وقال: «أفضل ألاّ أتكلم عنها ثانية، إن لم تمانعي، فالماضي هو الماضي.»

بقي أليكس هادئاً لمدة غير قصيرة، فظنت كايت أن كل شيء انتهى بينهما إلى غير رجعة، وأنه سينقلها إلى القرية

مباشرة لتأخذ سيارتها، ولكنها دهشت عندما اتخذ الإتجاه المغاير متجهاً نحو الجنوب بدلاً من الشمال.

سألته أخيراً لتخرق الصمت المطبق الذي ران عليهما: «إلى أين تتجه؟»

«نقوم بجولة فحسب، ثم نعود، كما أظن.» ونقل ألكسندر مبدّل السرعة لاجتياز منعطف شديد الإنحدار، وأضاف: «ظننت أن عليّ أن أريك بعضاً من القرى المفضلة عندي قبل أن نعود. ولكني لا أريد العودة إلى البيت في وقت متأخر، إن لم تمانعي.»

«لا، لا، بالطبع.» أجابته كايت موافقة وهي تحاول إخفاء الشعور بالخيبة في صوتها. وكانت قد توقعت قضاء النهار والمساء في صحبته، على الرغم من أن الأمر صار مستحيلاً الآن. ولم يكن هناك من سبب يجعله يشعر بالشعور الذي كان عليه، قبل أن تبدأ بالتطفل على حياته الخاصة.

«كان يوماً جميلاً.» قالت متحمسة، حين توجّه في النهاية إلى البيت وهو يجتاز الطريق الملتوية التي صارت مألوفة لديها، الآن، والمؤدية إلى القرية. عرفت بنظرة مختلسة إلى ساعتها أن الوقت لم يتخط الخامسة، لكن كان واضحاً أن ما أعتبره أليكس كافياً، كان كافياً. حتى أنه لم يقترح عليها إمكان قضاء المساء معها، هذا ما فكرت فيه بائسة. وأضافت: «كنت لطيفاً جداً وأنت تخصص لي وقتاً طويلاً لأتفرج على المنطقة، إنني أقدر ذلك حق قدره.»

قطب أليكس حاجبيه وهو يناور بسيارته في منعطف حاد، ثم حدجها بنظرة قاسية.

علق بلهجة ساخرة: «إن وقع كلامك على مسمعي، قاس

وغير حميم. وكنت آمل في أن تتمتعي بهذا النهار حقاً، بدلاً من الإكتفاء بمجرد تقدير جهودي.»

«لقد تمتعت بالطبع.» قالت كايت محتجة: «إن الأمر... آه لا أعرف...» وترددت في الكلام، ثم تابعت بتصميم وقالت: «رأيتك تتوق إلى العودة، وظننت أنك حانق مني لأنني سألتك... أنت تعرف...» وتوقفت عن الكلام وهي تنشر يديها بحركة تعبر عن اليأس. وأضافت: «فربما ندمت على هدر الوقت في الطواف بي على المنطقة، فعلى الرغم من كل شيء، أنت من دفعني وشدّدت ذراعي لقبول دعوتك، أليس كذلك؟»

اعترف قائلاً: «ربما، لكن بعض النزوات تستحق بذل الجهد. وليس عليك سوى المجازفة.»

تحركت زاويتا فمه لكن ليس إلى الحد الأقصى، وقال: «كما اتفق، كان عليّ العودة لسبب محدّد ليس له علاقة بالندم بشأن كيفية قضائي... قضائنا، هذا النهار.» هذا ما أضافه بطريقة غامضة، بشبه ابتسامة أرادها لنفسه أكثر منها لها، فيما اضطربت روحها ولم يزايلها الشعور بالخيبة، وكانت العودة المفاجئة إلى بيتها المنعزل تمثل هبوطاً شديداً في العلاقة بينهما. لقد كان عليها، في هذا الصباح، أن تلتزم قرارها في أن تغادر المكان.

أوقف أليكس السيارة وراء سيارتها تماماً، وقفز منها ويستدير حولها بسرعة ويفتح لها الباب.

هكذا أصبح الأمر إذاً، نهاية صداقة جميلة، إذا ما ضربنا صفحاً عن كل شيء آخر... ولا يعني ذلك أنها أرادت شيئاً آخر. ذكرت كايت نفسها، بمرارة وهي تخرج من السيارة

لتقف محملقة فيه. ثمة تعقيدات شديدة وكثيرة في حياة كل منهما.

قالت له برقة مصطنعة: «أشكرك ثانية على الرحلة وعلى الغداء أيضاً. وأعطيني علماً حين ينتهي بناء الفندق، أليس كذلك؟ سأدعو جميع صديقاتي للمجيء والإقامة فيه، ولينغجبن بمايكل الأسود أيضاً.»

أطلقت ضحكة قصيرة وسحبت يدها. وقال لها أليكس: «أنت ذاهبة إذاً؟» ونظر إلى يدها، لكنه لم يحاول أخذها بيده، بل اتجه بدلاً من ذلك إلى صندوق السيارة الذي فتحه وأخرج منه حقيبتين مليئتين بأطعمة فاقت كل تصور.

أضاف: «شيء مؤسف.» وهو يرمقها بنظرة تأملية «لأنني وضعت مخططات أخرى لقضاء بقية اليوم، لكن إذا كنت على عجلة من أمرك...»

أغلق باب السيارة واستدار كما لو أنه يريد تركها وهو يحمل مشترياته باتجاه منزله.

ردّدت كايت بصوت جاء متهدجاً كما لم تتمنى: «مخططات أخرى.. لكنني ظننت أنك رتبت شيئاً آخر، شيئاً أوجب عليك أن تعود من أجله.»

«هذا ما كان... وأنت لم تسألي أي ترتيبات كانت.» علّق أليكس وهو يختفي وراء باب منزله الأمامي.

«ترتيباتك ليست من شأني.» احتجت كايت، فيما كانت تتبعه: «ولم يكن هناك من داع كي أسألك.»

«آه، هذا هو الخطأ الذي وقعت فيه الآن.» قال أليكس مبتسماً: «فما أكبر أهميتها بالنسبة إليك، وهذا هو الواقع، أو كما آمل أن يكون.»

ثم عبر الطريق ووضع أصابعه في فمه وأطلق صفرة قوية، جاء الجواب عنها، صرخة أطلقها رجل يقف على بعد مئة ياردة عنه، على رصيف الميناء. وناداه أليكس فهز الرجل رأسه بقوة وهو يشير إلى قارب أبيض اللون، أنيق، ربطت مرساته في مكان قريب. وأومأ أليكس برأسه علامة الإدراك والتفت نحو كايت التي كانت تراقب الحديث بالإشارات، المكتنف بالغموض.

قال أيضاً: «حسن، كل شيء جاهز، ويتوقف...» ثم كفّ عن الكلام ليتمعّن في ملامح كايت بقليل من العبوس، وأضاف: «فلنرى، لدينا الجينز والألبسة الرياضية والقمصان، وكل شيء على ما يرام، لكن قد تكونين في حاجة إلى شيء أكثر دفئاً، فهل لديك كنزة؟»

«لدَيّ كنزة في السيارة لكن لماذا...؟» وحملقت فيه مرتبكة، ثم فُكت عقدة لسانها، وقالت: القارب، هل أنت... هل أننا...؟» وأومأ أليكس برأسه إيجاباً، وقال: «لقد وعدتك بأن أصطحبك في رحلة على متن القارب قبل أن تغادري، هل تذكرين؟ وتبدو هذه آخر فرصة لي إذا ما قررت الرحيل غداً، فهل ستأتين؟ أم تريدين العودة إلى المنزل الآن؟ هذا يتوقف على قرارك.»

«عليّ أن أعود لأنهي توضيب أمتعتي حقاً.» بدأت كايت كلامها، غير مقتنعة بما تقول على الرغم من شعورها غريزياً بالظهور على صورة صاحبة الإرادة المستقلة، على الأقل، لكن كل ذلك انتهى حين رأت التعبير الساخر في وجه أليكس.

كان مرآها يبعث على الرثاء عندما وجدت نفسها تذعن

وتقول بحماسة يشوبها حزن على إرادتها المثلومة: «أظن أن لا شيء أجمل من ذلك.» وبعد دقائق كانت تتأرجح بهدوء عبر الخليج وقد استسلمت طائعة للرجل الذي خطفها وجلس في مؤخرة قارب الصيد الصغير، يبتسم لها.

عندما التقت أعينهما، تضرّج وجه كايت بحمرة الخجل وتذكرت كيف احمرّت وجنتاها حين وعدها باصطحابها في رحلة بالقارب، ويا ليتها لم تتذكر. فقد تمنت من كل قلبها أن ينسى أليكس تلك الكلمات وتأثيرها الفوري في جسدها.

كان قد قال: «ثمة طريقة واحدة لمعرفة قيمة هذه الأسماك، وهي بأن تحضَّر على نار في الهواء الطلق بصحبة فتاة جميلة على بعد أميال وأميال من أي مكان والشمس تسوط مياه البحر بأشعتها. وستكون تجربة لن تنسيها أبداً.»

عندئذٍ اجتاحتها رعدة، خضت جسدها ولا شك أنها مجنونة لأنها وافقت على المجيء معه، ليس لفقدانها الثقة فيه، لكن هل كانت تثق هي في نفسها؟

الفصل السادس

في غفلة عن انتباه الشابين المبحرين حلَّ المساء وقاربهما يعبر الخليج بهدوء، وكانت المياه زرقاء صافية إلى حدّ خيّل لكايت أن بإمكانها أن ترى القاع لو حدقت جيداً فيها.

حذرها أليكس صارخاً حين رآها تنحني من فوق حافة القارب: «هاي، لا تتحركي، لا أريد أن أضيف صفة منقذ بحري إلى قائمة اختصاصاتي وبخاصة في هذه المياه فهي شديدة البرودة، وأحذرك منها.»

«ألا يمكن السباحة فيها؟»

أجابها بحزم: «لا، قطعاً، ولا أستطيع حمايتك أينما كنت، وأنا نفسي لن أسبح فيها، لكن هناك خليج صغير يمكنك الاستحمام فيه على مدار السنة، إنما لن تكون لي فرصة لأدلك عليه، وبخاصة إن كنت ستغادرين غداً، أليس كذلك؟»

«لا.» وافقته كايت مبتهجة، محاولة بكل يأس نزع الصورة التي سيطرت على عقلها عن قوة أليكس.

القت كايت نظرة متفحصة على الأوعية البلاستيكية التي أحضرها أليكس من أريوبوليس، والمكدسة عند أقدامها إلى جانب بطانية ومجموعة متعددة الألوان من الأوعية الأخرى. قالت مستفسرة: «ماذا يوجد في كل هذه الأكياس؟ تبدو لي أنها كثيرة على اثنين فقط، أوه، أين نحن ذاهبان؟»

«لا تخافي، لن أخطفك. ولست نخاساً لأن المتاعب كثيرة في هذه المهنة.»

قال لها بكل اعتزاز: «انظري ها هو فندقي على الأرض المقابلة، حيث أنقذتك من حادث محتمل هذا الصباح.»

«إنه موقع رائع بالفعل، هذا الذي اخترته.» أقرت له: «لولا...»

سألها أليكس محاولاً استيعاب أي نوع من الانتقاد: «لولا ماذا؟ ما الخطأ في ذلك؟ لا تقولي إنك ظننته ما كان يطلق عليه الأمير تشارلز على مجال لذته وسعادته الملكية؟ العقيق الأحمر؟»

ضحكت كايت: «لا ليس هذا، ولا حتى تلميحاً بذلك! فأنا واثقة أنه كمبنى سيكون رائع الجمال، وأفكر فقط في أنني ربما أفضل هذه السلسلة الجبلية كما هي، مع القرية عند أسفلها فقط، فإن ذلك أشد شاعرية في طريقة خاصة.»

أشار أليكس بلهجة جافة: «إن هذه القرية سواء كانت شاعرية أم لا فإنها ستخلو من السكان ابتداء من الآن إذا لم تكن هناك مغامرات مثل مغامرتي. وإلا لماذا تعتقدين أن والدي قد هاجر للبحث عن عمل؟ فالأمور لم تتغير، تأييد الناس هنا لا يكفي، عليك فقط النظر حولك.»

أوقف أليكس المحرك قبل بلوغ اليابسة بعدة أمتار ثم خلع حذاءه ورفع ساقي سرواله الجينز وقال لكايت: «ابقي حيث أنت بينما أقوم بسحب القارب.» وقفز إلى الماء، حيث غاص حتى ركبتيه وعدّل وضعية المحرك قبل أن يدفع القارب قدر مستطاعه نحو الشاطىء، ومن ثم، حين كانت كايت تترجل، ومن غير أن يمنحها الوقت للاحتجاج،

استدار إلى جهتها وحملها ووضعها برفق على الرمال.

هل خيل إليها ذلك، أم أنه حملها للحظة، أم أكثر مما كانت بحاجة إليه؟ بالطبع لم يكن هناك تصور لذلك البريق في عينيه وهو يبتسم مستبقاً ردة فعلها على جرأته.

قال لها بمرح: «أنا أعلم أنك ستقولين لي إن بإمكانك الاعتماد على نفسك.»

أكدت له مرددة: «هذا صحيح فأنا لست بحاجة للمساعدة كما تعلم.»

«آوه لقد عرفت.» وشعرت بأن أصابع أليكس القوية تطبق على خصرها. «لكنني لم أتمتع بمثل هذا حتى الآن.»

تركها برفق مبتسماً لتعبيرها الهجومي قبل أن يعود إلى القارب ليبدأ بإفراغه. وسلم كايت البطانية. وقال لها مشيراً إلى الشاطىء: «ضعي هذه على الأرض هناك.»

«نعم، نعم، يا كابتن.» أجابت كايت بكل طاعة وقد فاجأتها فيما بعد، مقدرة ومتخيلة كيف أنها ستذعن دائماً لأوامره بلا تذمر، وسارت على الرمل لوضع البطانية في المكان المحدد، ووضعتها وبسطتها بالقرب من صخرة سوداء وبدأت تنظر متفرسة في كومة القش التي كانت على مقربة منها.

قال لها أليكس: «تخلصي من هذا بسرعة.» بينما كان يتفحص واحداً من الأكياس التي وضعها للتو بقربها على الأرض، وأشعل ناراً في بعض الحطب اليابس، محاولاً جمع المزيد منه لاشعاله بحيث حصل على نار دافئة، تغمر المكان بالدفء. ووضع شبكة معدنية فوق النار وأحضر من الثلاجة سمكتين فضيتين، منظفتين

ومجهزتين سابقاً ثم دهنهما بقليل من زيت الزيتون.

قال هازناً: «ما رأيك بهذه الوجبة؟ بسيطة! أوافقك، لكنها شهية كما أعتقد.»

نهضت كايت ومسحت كفيها قائلة وهي تركز نظرها عليه: «لقد خاب ظني في الواقع.»

تصنع أليكس الهدوء قائلاً: «آوه؟ كيف ذلك إذن؟ ماذا تريدين أكثر؟ يجب أن تتقبلي الجلوس بمقدار ما تتمنين الشاعرية.»

وافقته كايت: «الجلسة حسنة، ولكنني كنت أتصور أنك في الواقع تصطاد الأسماك بنفسك.» وأشارت إلى السمك المحضر في البيت: «أعتقد أنك اشتريتها من أريوبوليس أو حصلت عليها من صديق في القرية. أنا واثقة أنها ستكون لذيذة.» ومضت غير راغبة في سماع دفاعه عن نفسه: «ولكنها ليست نفس تلك الخارجة من البحر لتوها.»

مد اليكس يده إلى كيس آخر أخرج منه زجاجة شراب وكأسين. قال لها: «كنت أفكر في هذا، ولكنني كنت أريد التأكد من رغبتنا في الأكل، والآن، على كل حال، ربما أنه ليس لدي متسع للتحضير، إذا ما كنت ستبقين بالطبع، سيكون الأمر مختلفاً، فإن بإمكاننا تمضية النهار بأكمله في صيد السمك والسباحة، واحتساء الشراب...

«هل هذا لي؟» وتناولت كايت أحد الكأسين من يد اليكس، وارتشفت قليلاً من الشراب الملوّن ودلقت القليل منه على البطانية، بالقرب منها لتمنعه من أن يقول ما لا تريد أن تسمع وحتى بشبه جدية. ارتعش فم اليكس وبرقت عيناه لكن كل ما تفوه به هو: «هل تحبين الرتسينا، أتمنى ذلك؟»

ارتشفت كايت من الشراب: «إنه ليس لذيذاً كثيراً.»

قال لها موضحاً: «سوف تعتادينه، إنه الشيء الوحيد الذي يمكن شربه في مثل هذه الظروف، أعدك. وهاك بعض الخبز، فقد صنعته زوجة ديمتري خصيصاً.»

تساءلت كايت قائلة: «ديمتري؟»

«أجل الشخص الذي يعتني بقاربي عندما أكون غائباً، وامرأته تعتبر من أفضل من صنع الخبز في تلك المحلة.»

احمرّت وجنتا كايت بعدما جرعت بعضاً من الشراب، ثم قالت: «إنه لذيذ حقاً!»

ابتسمت كايت عندما رأت أليكس يضع السمك في طبقين بارتباك كلي، مضيفاً إليهما نوعاً من السلطة اليونانية، وسألته: «هل تأتي دائماً إلى هنا يا سيد ديميتراكوس؟»

«كلما سنحت الفرصة يا آنسة بنواردن. إنه المكان المفضل لدي لتناول الطعام، كونه هادئاً ومنعزلاً كما لاحظت، كما لم أحظَ بطعام أفضل من هذا في كل هذه المنطقة.» ضحكت كايت قائلة: «وماذا عن الفندق العظيم الذي كلمتني عنه؟»

«لا يقدم طعاماً أفضل من الذي نتناوله الآن.» أجاب اليكس بشجاعة. وتابع: «لن أدع أحداً من النزلاء في هذا الفندق يتعرف إلى هذا المكان الرائع السري الجميل، الأشخاص المميزون هم فقط يستحقون الدعوة إليه... أما الآن، اخبريني كيف وجدت طريقة تحضيري الطعام؟»

«للحقيقة إنه طعام من الدرجة الأولى، لا ينقصه شيء، والعناصر المركبة منه وطريقة الطهي، من أعظم ما يكون... فأنا لا أنكر أنني تناولت وجبة أشهى.»

«إذاً أنتِ سعيدة لأنك لم تطيعي غرائزك في الاسراع في حزم أمتعتك استعداداً للرحيل؟» تنهدت وقالت: «نعم إني سعيدة... ولو أن...»

«لو أن ماذا؟»

«ستخيب آمالك لو ظننت أن باستطاعتك إقناعي بالعدول عن الرحيل غداً.. أنا حقاً راحلة غداً...»

تمتم اليكس محدقاً بها من وراء نظارتيه: «بالطبع لم أكن أتصور أنك ستعدلين عن فكرتك، وقد تعلمت منكِ التصميم والحزم في كافة الأمور.. ومع هذا كله، ما زال هناك أشياء وأشياء لم أستطع اكتشافها عنكِ بعد يا آنسة بنواردن.. أقصد كايت بنواردن،» نفسها، حقيقتها، وليس المرأة العاملة كما يراها البعض.»

حاولت كايت الاعتراض، ولكن رقة أليكس ووسامته، جعلتا الكلام يتردد فوق شفتيها، ووقفت ثم اتجهت بهدوء نحو حافة المياه وهي تشعر بأنه يلاحقها بنظراته. كان يفهمها ويعرف ما تريد بذكائه الفطري، الأمر الذي يفتقره مايكل. ولكن شيئاً ما في أعماق نفسها كان يمنعها من الحديث عن علاقتها بمايكل.

اتجهت أبصارها نحو الأفق حيث كانت الشمس تشرف على المغيب، وترسل اشعاعات من النور ذات اللون القرمزي، انعكست فوق المياه وهزّت كيانها.. وكان الهدوء يلف المكان ولا يعكره إلا صوت الأمواج الصغيرة التي كانت تطرق قدميها.

«من يكون مايكل هذا الذي استطاع أن يجلب التعاسة إلى روحك؟»

اخترق صوت اليكس الصمت لدقائق، وبقيت كايت واقفة مكانها، مفسحة المجال للذكريات، لتنفلت وتنطلق من شاطىء ذهنها، لكنها استدارت أخيراً وتقدمت منه، وجلست على حافة البطانية وبدأت الكلام بانقباض شديد.

«كان مايكل خطيبي... ولكن منذ شهر تقريباً لم أعد مرتبطة به... بعد علاقة دامت ثلاث سنوات...»

«ثلاث سنوات! إنه وقت طويل... فأنا لا يمكنني انتظار فتاة أحبها، طوال هذه المدة...»

لم تعلق كايت بشيء على قوله ولكن أصابعها أخذت ترسم قصراً صغيراً فوق الرمال، وراقبها أليكس باهتمام شديد وتتبع حركاتها هذه، ولكنها مسحت الرسم فجأة وقفزت نحوه.

«لقد طلب وتوقع مني أشياء معينة لم استطع أن أنفذها له، لذلك وفي النهاية وجد فتاة أخرى تستطيع ذلك... كنت أتوقع غير هذا، الحب أولاً... الخطبة ثانياً وبعدها مباشرة الزواج، هذا إذا كنا نريد حقاً بعضنا البعض.» وانخفض صوتها وهي تتابع: «أعتقد أنك تظنني فتاة من القديم كما كان يظن مايكل... وكان عذره دائماً أنه لا يستطيع الانتظار، وعندما كان مع كارول، سكرتيرته، في باريس...»

«آه، باريس...» تمتم أليكس، وكأنه يكلم نفسه، وراودته الرغبة في أن يحتضن كايت للتخفيف عنها، لكنه امتنع عن ذلك وتوقف عن قول المزيد، خوفاً من أن تضيع هذه اللحظة، لحظة المواجهة مع الواقع المؤلم، إلى الأبد. انتظرها بصبر كي تتابع كلامها، ولكنها اكتفت بهز رأسها، وقد شعرت بما يدور في خلده، لن يكون بوسعها أبداً، التكلم إلى أي كان،

حتى إلى أليكس، عن ثمرة حب مايكل وكارول، وعن خيانته لها، وعن الإهانات التي رماها بها، بكل قساوة، في اللحظات الأخيرة لعلاقتهما.

«الآن، أنت تعرف القصة.» احتضنت كايت ركبتيها وألقت رأسها بينهما، بحيث انسدل شعرها الذهبي، مثل ستارة، على خديها، واخفى وجهها عن الرجل الذي كان يراقبها ويصغي إليها.

علت غشاوة عيني أليكس، ولمس كتفها بلطف.

«أنا آسف جداً، ربما كان يجدر بي أن لا أخوض في هذا الموضوع معك، ولكني سعيد بما فعلت، لأنني بحاجة أن أعرف.»

أزاح أليكس يده عن كتفها، ودفع خصلات شعرها إلى الوراء، وذهلت كايت، عندما أحست أن دموعها قد انهمرت وسالت على خديها، تماماً، مثلما حدث في الليلة الماضية. حاولت إخفاء ذلك وأدارت رأسها جانباً، مسببة بذلك سقوط دموعها على ذراعه العارية.

قربها منه، من دون أن ينبس بأي كلمة، وأدار رأسها نحوه برقة، ولمس خدها. ابتسم قليلاً ووضع أصابعه التي ابتلت بدموعها على شفتيه.

«مالحة.» قال بحنو: «مالحة مثل ماء البحر، ولكن لا داعي للبكاء، يا عزيزتي. لن أسألك ثانية عن هذا الموضوع، أعدك بذلك، طالما أنت لا ترغبين في الخوض فيه.»

هزت كايت رأسها بعجز، وهي تشعر بأن دموعها قد تنهمر ثانية بسبب كلماته الحنونة.

«ما يؤلمني.» قالت كايت بصوت متهدج: «أني لم أكن أتخيل أنه سيفعل ذلك بي، ليس بعدما تبادلنا الحب لمدة ثلاث سنوات. كنا سعيدين، واعتقدت أننا نحب بعضنا البعض فعلاً. وبعد كل هذه السنوات، تأتي الصدمة المفاجئة بأنه على علاقة بامرأة أخرى، وبأني لم أعرفه على حقيقته... وما زلت لا أستطيع تحملها بثبات.»

«من الأفضل اكتشاف الحقيقة قبل فوات الأوان.» قال بلطف: «سوف يتلاشى ألمك مع الوقت، أنا أضمن لك ذلك.»

النبرة الجديدة في صوته، جعلت كايت تدير رأسها نحوه، ولكن تعابير وجهه لم تفصح عن شيء وشعرت باعياء يمنعها من محاولة اكتشاف مغزى كلامه. «لم أطلعك على قصتي، كي تشفق علئ، وكما قلت، إن الوقت كفيل بإزالة كافة الأحزان.»

«لم آتي بك إلى هنا، هذه الليلة، بدافع الشفقة. لا يجوز السماح لذكرى مايكل، بأن تنغص علينا صفو هذه الأمسية، التي وعدتك بأنها ستكون رائعة، أليس كذلك؟ إنه أمر من الماضي، ولكننا هنا... والحاضر ملك لنا.»

«هنا والوقت الحاضر، هما ما يهمنا، أليس كذلك؟ ويجب أن نستغلهما...»

انحنى فوقها قبل أن تلاحظ اللمعان في عينيه، وقبلها بحنان مثلما فعل من قبل... أيمكن أن يكون ذلك البارحة؟ تساءلت وهي تشعر بالدوار.

«لا!» تملصت منه وقد استدركت ما كانت على وشك الوقوع فيه: «لا، يا أليكس، لقد وعدتني. لقد قلت انك... اننا... لم نأت إلى هنا لأجل...»

تراخت كلماتها وأشاحت بنظرها، خوفاً من أن تتلفظ الكلمات التي دارت في خلدها.

«لم نأت من أجل إقامة علاقة حميمة.» خفت صوت أليكس، وأضاف: «أنت على حق، وأنا آسف. لقد نسيت نفسي وتجاهلت مبادئك.»

«أرجعت كايت رأسها إلى الوراء، ونظرت إليه، ولكنها لم تلاحظ أي تعبير ساخر على وجهه الذي أداره نحو البحر، خافياً ما يفكر به.»

«أنت... أنا لم أقصد...» بدأت الكلام، ولكنه لوح بيده صاداً لها.

«لقد تناسيت نفسي، بسببك.» قال لها بخفة: «فأنا لم أصنع من فولاذ، كي لا تتحرك مشاعري مع فتاة جميلة مثلك، في هذا المكان الشاعري.»

لم تضع في حسابها، البدء بعلاقة غرامية، قصرت أم طالت، وهي لا تزال تتألم من تحطم علاقتها السابقة، وذكراها لا تفارق ذهنها.

مشت بتمهل إلى حيث السجادة وبقايا الطعام الذي تناوله، وأخذت بجمع الحاجيات، وتحاول بجهد أن تتجاهل نبضات قلبها المتسارعة. ثم لاحظت أن أليكس اقترب منها. ربما تأملت كايت، أنه قرر أن يتجاهل رفضها.

احتفظت بنظرها بعيداً عنه، عندما جثم إلى جانبها، وقفز قلبها عندما مد يده وأزاح عن وجهها خصلات الشعر المنسدلة.

مازحها قائلاً: «ألم يكن الشعور متبادلاً؟ عندما غمرتك بين ذراعي، ألم تشعري بشيء؟»

مال عليها ولثمها بلطف: «لا تنكري على نفسك السعادة، يا كايت لا تسجني هذه الفتاة العاطفية والحنونة التي بداخلك، بسبب ما حدث بينك وبين مايكل. أعرف أنك لا تزالين تعانين الألم، ولكن هناك وسائل أخرى غير أن تنكري على نفسك حياة طبيعية. حتى ولو قليلاً.»

لم يتخلل رحلة العودة من الخليج أي حدث، وكلاهما لم يفصح عن مشاعره في ما انتهت إليه نزهتهما. وعندما ودعها أليكس أمام منزلها، كان وداعه لها رسمياً.

«انتبهي إلى نفسك.» قال برقة، وهو يستدير على أعقابه متجاهلاً، كلمات الشكر التي قالتها: «لا أحد سواك، يستطيع الاهتمام أكثر بمشكلاتك. وأتمنى أن تصلي إلى سلام مع نفسك.»

وهذا ما كان. لم تسمع منه تعليقات لاذعة، كي يقنعها بالبقاء، ولم يقبلها وداعاً. ابتسامة قصيرة فقط، وتحية من يده ثم ذهب إلى غير رجعة.

كان عليه المحاولة. همس كبرياء الأنثى من أعماقها. لم يكن هناك من داع كي يغادر مبكراً، على الرغم من أن أي محاولة منه كي يقنعها بتأجيل رحيلها ستبوء بالفشل. لأنها حتماً سترحل غداً، ولكن من الأفضل أن تشعر أن بقاءها سيلاقي ترحيباً.

هل عنت له اللحظات التي كانت فيها معه أكثر من لهو، حسب تعبيره. بالنسبة لها، لو بقيت معه مدة أطول لتحول هذا اللهو إلى شيء أكثر جدية.

دفعتها اللوعة والتفكير باليكس إلى ترك السرير والوقوف بجانب النافذة المفتوحة. «بحق السماء!»

صرخت عالياً، وهي تشعر بالقرف من نفسها: «توقفي عن التصرف مثل فتاة مراهقة تهيم أحلاماً. أنت لا تعنين له شيئاً، البتة. وإلا لماذا.» تساءلت ثانية: «ترك فجأة من غير أن يلمح عن أي رغبة في دخول المنزل معها، ولو لتناول القهوة؟»

هل كان إصراره على معرفتها على حقيقتها، مجرد غطاء كي يستطيع أن يأخذها بقاربه إلى موقع اللهو على الشاطىء المنعزل؟ كم من المرات ذهب إلى هناك بصحبة أخريات؟

وضعت كايت مرفقيها على حافة النافذة، وأراحت ذقنها على كفيها، وحدقت في السماء المزينة بالنجوم، النجوم نفسها التي تسطع على أليكس الذي هو الآن، بلا شك، غارق في النوم من دون أن يدع ذكراها تطغى على أحلامه.

تخيلت وجهه باتزان، وقرأت تعابيره بأمانة ووضوح ولم تجد التهكم أو الشفقة فيه، بل وجدت اهتماماً حقيقياً بها، بكايت بنواردن، كما هي وبكل محاسنها وسيئاتها.

إذاً، لماذا ألقت عليه الاتهامات من غير وجه حق؟ ولماذا تلومه على تصرفه؟ قالت كايت في نفسها.

تذكرت اللحظات النادرة التي رأت فيها غشاوة ما تنسدل على عيني أليكس والتي تشير إلى حزن عميق. لا شك أن الفتاة التي رأتها في الصورة هي السبب. إنها متأكدة من ذلك. ولكنها لن تتجرأ على سؤاله ثانية، بعد ردة فعلها العنيفة وتحذيره القاسي بعدم ذكرها ثانية. ربما كان عليها أن تحاول بإصرار أشد، لربما استطاعت بوسيلة ما

اقناعه بأن يأتمنها على سره، ولكنها خسرت هذه الفرصة الآن، وإلى الأبد.

لقد فات أوان الندم الآن، ولن تمنحها الأقدار فرصة ثانية.

لفت كايت ذراعيها حول جسمها ببأس، وعادت عبر الغرفة إلى سريرها. وبرغم ان النوم أتاها أخيراً، إلا انه لم يكن نوماً هادئاً، فبقيت تتقلب على السرير فيما عقلها الباطن يلح في تكرار كلمة شاردة، كان أليكس قد قالها وبقيت ترن في رأسها.

«لا تتكري على نفسك أي احتمال بالسعادة.»

كانت هذه العبارة ما تزال ترن في ذهنها، عندما استيقظت قبل حلول ضوء النهار، وهي تشعر بالإعياء. وتمنت انه حالما تنتهي من حزم أمتعتها، وتقطع مسافة طويلة عن هذا المكان المشؤوم، أن تنسى كل شيء عن أليكس وتتخلص من تأثيره عليها.

استحمت وحزمت أمتعتها ووضبت نفسها في وقت قصير، ثم استدارت وألقت نظرة أخيرة، لعلها نسيت شيئاً. شعرت بنوع من الراحة، عندما أغلقت باب المنزل وراءها لآخر مرة.

سوف تعطي المفتاح إلى المسؤول عن الأملاك، ثم...

«إذاً، أنت حقاً سترحلين، هذه المرة؟»

رمت كايت حقائبها على الأرض، ودارت على عقبيها، وقد شحب لونها.

«أليكس؟ ما الذي... ماذا...؟» حدقت إليه، بفم فاغر، وأحست بنشاف حلقها المفاجيء، فيما تصارعت

عواطفها إلى درجة انها اضطرت لاسناد نفسها إلى السيارة.

«أجل، هذا أنا.» قال أليكس بخفة. «أنا مثل قطعة النقود الرديئة، التي تعود وتعود ثانية. لقد أردت أن أودعك بالأسلوب اللائق.»

عثرت كايت على صوتها وقالت: «كيف تنسى لك أن تعرف موعد ذهابي؟»

بدا لها منظره غريباً، فهو لا يزال يرتدي الملابس نفسها، التي كان يرتديها بالأمس، وكانت أكثر تجعداً، أما وجهه...

عبست كايت لرؤيته على هذه الصورة، واتسعت ضحكة أليكس.

«أجل، لم أتمكن من حلاقة ذقني، أعدك بأن لا أقبلك وداعاً. لو توقعت ما حدث بالأمس، لوضعت شفرة حلاقة في سيارتي.»

رددت كايت وراءه: «في السيارة؟» وقد أصابها مغزى كلامه بصدمة.

«هل قضيت ليلتك في السيارة؟»

«أجل، لم أرد أن تفوتني فرصة وداعك. ولم يتعبني ذلك، على العكس.» أضاف بمرح: «وبرغم ضيق المكان الذي لم يفسح لي مجالاً للتمدد.»

نظر إلى ساقيه، بأسى وقال: «انهما متصلبتان قليلاً، ولكنه شيء يمكن معالجته بقليل من المشي أو السباحة، على ما أظن.» ثم استطرد وهو ينظر إليها جانباً ويضحك: «هل تغيرين رأيك وتنضمين إليّ؟»

«للسباحة؟ لا أظن ذلك.» ردت عليه بحزم: «وعلى أي حال، أنت من قال، ان مياه البحر باردة جداً، في هذا الوقت من السنة... لا، شكراً.»

«حسناً، سأودعك إذاً.» التقط أليكس حقائبها من على الأرض، حيث رمتها، وجاء بها إلى السيارة: «أين تريدين وضعها... في الصندوق الخلفي؟»

أومأت كايت برأسها وفتحت الصندوق، وراقبته وهو يضع الحقائب داخله، بتأن، ثم أغلقت الغطاء عليها.

«هل أستطيع تقبيلك؟»

أومأت، ثانية، برأسها، واتسعت عيناها وهي تحدق إلى وجهه، تنتظر قبلة الوداع.

اقترب منها ببطء، فيما كانت نبضات قلبها تتسارع، وضمها إليه، ولكنه تراجع من دون أن يقبلها.

«أليكس، لا تبدأ بهذه الألعاب معي. إذا أردت تقبيلي وداعاً، فافعل ذلك ودعني أذهب. ان مسافة سفري طويلة وكان يجب أن أكون على الطريق، الآن.»

لم يكن ذلك صحيحاً، فكرت كايت، فلم تكن عندها أي فكرة، إلى أين ستذهب من هنا، لكنها لم ترد أن تفصح عن ذلك لأليكس، حتى لا يحاول اقناعها بالبقاء.

«أنا لست الشخص الذي يضيع الوقت، يا آنسة بنواردن،» قال لها بصوت يشوبه الحزن: «ولكني قبل أن أودعك، أريد أن أطرح عليك سؤالاً، وأريدك أن تفكري جيداً قبل أن تعطيني الجواب.»

اخفت التنهيدة التي أطلقتها، خفقان قلبها المضطرب بسبب جملته الأخيرة: «حسناً، إسأل.»

«هل، يا كايت بنواردن، قد نويت حقاً وفعلاً أن ترحلي... الآن، وإلى غير رجعة؟»

«كم من المرات يجب أن أرد على هذا السؤال؟» اجابته وقد نفد صبرها: «للمرة الأخيرة، يا سيد ديميتراكوس، أقول لك، اني ذاهبة، لقد وضبت أمتعتي، ووضعت حقائبي في صندوق السيارة... لقد وضعتها بنفسك... وهذا مفتاح البيت بيدي...» لوحت له بالمفتاح كبرهان على ما تقول: «وحالما أعطيه للمشرف على الأملاك سأركب سيارتي وانطلق بها بعيداً.»

تلفظت بهذه العبارات ببطء متعمد، وبتأن، وبصورة لا يجد أحد فيها صعوبة في الفهم حتى ولو كان أبله. ثم اتجهت نحو سيارتها وعيناها تلمعان من الغضب.

«لقد تشرفت بمعرفتك. وداعاً، يا أليكس.»

«ولكني لم أعطيك قبلة الوداع. لا تنكري علي ذلك بعد أن أمضيت ليلتي في السيارة، أنتظر ذلك.»

غمرها على حين غرة وعانقها بقسوة ولهفة. ووجدت نفسها تتجاوب معه، وزالت مقاومتها، ثم رفع نظره إليها وقال: «هل ما زلت تنوين الرحيل، يا كايت؟ ألا أستطيع اقناعك بالبقاء، ولو ليوم آخر؟ أستطيع أن أريك الكثير على هذه الجزر، إذا أفسحت لي المجال.» ثم قبلها، بلطف، على خدها.

كيف تستطيع هجر هذا الرجل؟ لقد أثار عواطفها بصورة لم تختبرها من قبل، وحطم كل مقاومة عندها.

«لقد ربحت.» أجابته ببطء: «ولكنك لم تكن نزيهاً، كفاية.»

«إنها ليست معركة بيننا.» اعترض أليكس: «لقد أفصحت

عن نيتك في الرحيل بوضوح، وكانت هذه طريقتي في الغاء الوداع.»

«هذه طريقة غريبة، في الاحتفاظ بامرأة إلى جانبك.»

«كانت فرصتي الوحيدة، كي لا اضيعك من يدي.»

وضع أليكس يديه في جيبي سرواله واتكأ إلى سيارة كايت، يتفحص تعابير الدهشة على وجهها بعينين راقصتين.

«هل تذكرين منظرك عندما ارتطمتُ بك، وأوقعت أوراقك على أرض المطار. كنت مثل معلمة مدرسة متزمتة، ومنذ ذلك الحين أردت حلحلتك قليلاً، وقد نجحت بذلك، أليس هذا صحيحاً؟»

أشاحت كايت بنظرها عنه، وحدقت في المنزل المظلل بأشجار الزيتون والذي سيأويها ليلة أخرى.

«أجل.» سمعت نفسها تقول: «أجل، لقد فعلت هذا.»

الفصل السابع

«إذاً، ما هي هذه الاحتفالات، التي أردت اقناعي بحضورها وبتغيير كل مشاريعي لأجلها؟»

كانا قد عادا إلى المنزل، وانشغلت كايت بتحضير القهوة لكليهما، وسمعت ضحكة من خلفها.

«لا أظن أن هذا هو السبب الذي جعلك تأجلين فكرة السفر؟»

استدارت كايت على نفسها بسرعة ورمقته بحدة مما جعل أليكس يغطي وجهه بيديه، تفادياً للكمة محتملة.

«آسف لفظاظتي...» واتجه نحو الباب واستدار متابعاً قوله: «الحقيقة، هناك بالفعل مكان رائع، أود لو ترينه، وسأبقيه سراً في الوقت الحاضر... قد لا يروق لك فتعدلين عنه وترحلين.»

تقدم بخطى ثابتة نحو غرفة الجلوس وقال: «المعتقد أن الطقس سيكون حاراً. أقترح عليك جلب ثوب السباحة معك...»

تابعت كايت انشغالها بتحضير القهوة، تجهد النفس بعدم التفكير بما قد يكون أو يحصل... إنها ما زالت تتذكر وتشعر اللحظات التي أمضتها بين ذراعيه.

ركزت تفكيرها على تلك الأشياء الصغيرة التي بين يديها... تحضير القهوة، رشفها ومن ثم غسل الفناجين بتأنٍ بالغ. وأخذتها الرجفة والإرتعاش، فقد غيّر هذا الرجل مجرى حياتها وفي الوقت المناسب.

وجاء صوت أليكس يقطع حبل أفكارها: «هل أنت جاهزة؟ أم تريدين ترتيب أمتعتك أولاً وفك حقائبك؟»

«لا، سأتركها في مكانها...» وفي صوتها رنة تأكيد لا شك فيها. «ولماذا أفعل ذلك وأنا عازمة على الرحيل غداً، ولن يكون بمقدورك إقناعي بخلاف ذلك.»

«حسناً، إذاً يجب أن يكون هذا اليوم يوماً رائعاً.»

أخذا يقطعان الطريق المألوفة بين كوخ كايت وقريته صامتين تتجاذبهما الأفكار إلى أن قطعه أليكس ليقول: «سأتوقف عند منزلي برهة، هناك أشياء يجب إحضارها، كما أنه ينبغي عليّ أن أحلق ذقني، أليس كذلك؟»

بقيت كايت صامتة تفكر بما قد يحدث لاحقاً، وهل ستستطيع التخلص من عناقه كالذي غمرها به صباح هذا اليوم؟

أقفلت عينيها بألم، وأصداء تساؤلاتها التي لا جواب عليها تضج في رأسها. وأصابها الإرتعاش والإضطراب، لا بسبب ذلك الرجل الذي يجاورها، بل من جراء تلك الرغبات التي تسكنها وتهز مشاعرها وأحاسيسها.

بقيت صامتة... وأليكس لا يعلق بشيء على صمتها هذا. واقترب من منزله ثم أوقف سيارته واختفى في ذلك المنزل الفسيح.

كان الوقت الذي استغرقه أليكس داخل المنزل كافياً لأن يعيدها إلى حالتها الطبيعية، ومع عودته كانت هواجسها قد تضاءلت.

تابع أليكس سيره في الطرق الضيقة المتعرجة، حيث القمم العالية تكللها الثلوج والشلالات تتفجر منها فوق

الوهاد. ولم يحدثها بل بقي صامتاً يراقب الطريق التي يقطعها باهتمام، إلى أن وصل بها إلى مطعم صغير على جانب الطريق فأوقف سيارته وقطعت كايت ذلك الصمت الطويل لتقول «يا لها من رحلة! لا أنصحها لمرضى القلب!»

أسرع أليكس بالخروج وفتح الباب لكايت وهو يمد يده لمساعدتها في الخروج من السيارة.

«من المستحيل القيام بمثل هذه الرحلة في فصل الشتاء، ولكني أحببت أن تقومي بها. هيا لتناول القهوة في هذا المطعم الصغير قبل أن نستأنف رحلتنا.»

تناولا القهوة ومن ثم واصلا رحلتهما الطويلة، إلى أن أعلن أليكس أخيراً وهما يجتازان سهل سبارتا الأخضر، الذي كان في ما مضى مرفأ صغيراً في يثيون.

« هذا المكان، لا يتميز بشيء معين عن المناطق الأخرى، لكنه يسعدني أن أذهب إليه من وقت إلى آخر...» كان أليكس يتكلم وابتسامته العذبة ترتسم فوق محياه الجميل: «أرجو أن تعطيني رأيك به عندما نصله بعد قليل.»

بالفعل، وكما قال أليكس، وجدت كايت أن المنطقة لا تتميز بشيء عن بقية المناطق، فلا أطلال أثارات قديمة ولا معابد، لكن سحرها يكمن في قدم ابنيتها وروعة موقعها على الشاطىء، وبجدرانها العالية، وبالمراكب المصطفة بانتظام واسترخاء، بعد قيامها برحلات عديدة عبر اليم.

«آه... ما هذه الأشياء؟» تساءلت كايت وهي ترمق أكياساً مكومة بعضها فوق بعض. ألقى أليكس نظرة إلى حيث أشارت كايت وابتسم: «كالامارس... إنه نوع من الأسماك الصغيرة التي تستعمل طعماً للأسماك الكبيرة، لذلك يصطادون منها

كميات كبيرة، وهذا يذكرني بأني أتضور جوعاً، لم نتناول سوى القهوة فقط منذ عشائنا الأخير ليلة البارحة.»

«أونيس، أفضل من حضر طبق الـ كالامارس في اليونان بأسرها ـ وهو يعتبرني صديقاً دائماً له.»

«طبعاً يا كيري الكساندروس، أنت محظوظ اليوم. فبالإضافة إلى الـ كالامارس، أعددت حساء السمك ـ أو ربما تفضل صديقتك شيئاً آخر؟ سمك السردين مثلاً؟»

أخذ أونيس يحدق في وجه كايت وكأنه يقارن بينها وبين الفتيات الكثيرات، اللواتي أحضرهن أليكس إلى هذا المكان وقدم لهن طبق الـ كالامارس. وأخذت الغيرة تعصف بها وتهز مشاعرها، وكأن أليكس أحسّ ما تعانيه، فأشار إليها بالدخول إلى مطبخ أونيس لتختار الصنف الذي تريده.

«هل تفضلين البدء بتناول طبق من الحساء؟ على العموم لا مجال للإختيار فالطبق الأساسي والوحيد هو الـ كالامارس، وعلينا تناوله، وقد يغضب أونيس إن لم نفعل، ويمتنع عن التحدث معي.»

وافقت كايت على تناول الحساء كبداية ثم الـ كالامارس مضافاً إليه السلطة اليونانية، وتركا المكان وخرجا حيث الشمس ترسل أشعتها الذهبية الدافئة، وأخذا مكاناً أعد خصيصاً لهما لتناول وجبتهما.

كان الطعام لذيذاً فأخذا يلتهمانه بنهم، وشربا مزيداً ومزيداً من شراب... الرستينا.

«كايت... هل أنتِ بخير؟» ابتسمت وهزت رأسها وكأنها تستعيد نفسها.

«أنا بخير، ولكنني أشعر بالنعاس...»

«ربما أنت منتشية قليلاً، يجب أن لا يغلب عليك النعاس هنا، لأننا سنذهب في نزهة قصيرة وبعدها ـ سوف نرى.»

ساعدها كي تنهض ثم ودعا أونيس قبل أن يمضيا في نزهتهما وهو يوليها اهتماماً ورعاية بالغين.

«ما هو هدفنا وإلى أين؟» سألت كايت لتجد مبرراً لخطوات أليكس الواسعة.

«هدفنا ليس بعيداً.» أعلن أليكس: «الأقدمون اليونانيون يظنون أن الآلهة بنوا هذا المكان. على فكرة، ما الذي أرقك البارحة؟ أرجو أن لا يكون عسراً في الهضم، لقد كان الطعام الذي قدمته شهياً، هذا إن لم يكن بالفعل!»

«هذا لا يهم الآن، لنقل أن سببه هو التأسف على أشياء كثيرة، وأظن أني انتهيت وتخلصت منها الآن.»

لفها أليكس بذراعيه، محدقاً في عينيها بعمق. «نعم، هذا هو السبب على ما أظن، وعليّ أن أبعدك عن متاعبك، هذا اليوم على الأقل، وبعد ذلك...»

أحست برنة أسى في صوته، أو ربما كان إحساسها يخدعها. تأملت الأرجاء الواسعة أمامها متسائلة عن الشيء الذي يفكر فيه، وكان قد سبقها ببضع خطوات نحو حافة الطريق ووقف ينتظرها وأشار بيده نحو جزيرة صخرية صغيرة.

«أترين تلك الجزيرة الصغيرة؟» هزت كايت رأسها: «لا أرى شيئاً مميزاً، ربما كانت شيئاً مهماً في الأيام الغابرة. آه، تذكرتُ، هيلينا وباريس أمضيا معاً شهر عسلهما فيها.»

ثم ضاقت عينا أليكس وهو يحدق في تلك الجزيرة

ويبتسم ابتسامته الغامضة: «الوقت ليس ملائماً لمناقشة الفلسفة في الحب، دعينا نترك أشباح الماضي ونفكر في أنفسنا، أعرف مكاناً رائعاً للتمتع بأجمل الأوقات.»

أخذ بيدها وسار بها وهي تقنع نفسها بأن دقات قلبها المتتاليه ناتجة عن عسر في الهضم ولا علاقة له بالمكان الذي يرافقها أليكس إليه.

انطلقا مرة ثانية نحو مكان آخر وكايت في حالة استرخاء تامة.

«لم أشعر يوماً بالكسل كما أشعر به الآن، أشعر أيضاً بأني فتاة صغيرة ذات دلع.» وتنهدت بعمق بالغ، فهي غير مقتنعة بالذي يدور ويجري: «إن الأمر محير جداً.» توقفت عن الكلام مستدركة ثم: «ماذا عن عملك؟ ألا يجدر بك أن تكون في الفندق لمتابعة سير العمل فيه؟ أو حتى أي شيء آخر؟»

«لا هذا ولا ذاك.» جاء صوت أليكس ثابتاً ورصيناً: «أما دافع اهتمامي البالغ لك، فيعود إلى عدة أسباب، أهمها أني أستطيع جذب أصدقائك ومعارفك لقضاء إجازاتهم في اليونان، بعد أن تكوني شعرت ولمست العمل الرائع والخدمة الممتازة التي أقدمها.»

«في فندقك بالطبع.»

«طبعاً... طبعاً.»

أقفلت كايت عينيها وهي تستمتع بأشعة الشمس تنساب على وجهها.

«وسيحصلون على أفضل خدمة، والقيام برحلات إلى الأماكن الأثرية وغيرها... هذا بالإضافة إلى

تذوق الشراب الفاخر مصحوباً بوجبة عشاء رائعة.»

«بالتأكيد، إنها الطريقة الأمثل لجذب السائح الذكي الذي يعرف تماماً ماذا يريد.»

كان النعاس يغلب على كايت بشكل واضح.

«الحق على الـ رتسينا أو ربما على أشعة الشمس، أو...»

لفهما صمت طويل بارد. إنها لم تكن تدري وجهة سير أليكس، أو إلى ما ستؤول إليه الأمور، واستسلمت لتلك التساؤلات التي لم تجد جواباً عليها، لتستفيق من أفكارها على صوت غريب عالٍ كان مصدره ناتجاً عن كبح قوي أوقف به أليكس سيارته.

«آسف، إنها طريقة اليونانيين السيئة في الوقوف المفاجيء والسريع على جوانب الطريق.»

أخذت كايت تتحقق من المكان، إلى أن وقع نظرها على ابتسامة أليكس الغامضة.

«أين نحن؟ لا أرى سوى أراضٍ صخرية شاسعة الأطراف تنبت فيها نباتات شوكية، هل من رابط أسطوري فيها؟»

«لا أظن، هيا، أحضري ثوب السباحة، أو ربما تفضلين الإسترسال في النوم؟»

لم ينتظر جواباً منها، بل أخذ يشق طريقه نزولاً في ممرٍ ضيق بين الصخور. وجدت كايت صعوبة بالغة في اللحاق به، إلى أن انتهى إلى خليج صغير ومنعزل، فأمسك بيدها يعاونها على الإجتياز، فوق صخرة رطبة مكسوة بالعشب. أعجبت كايت بالمكان، وكان أليكس ما زال ممسكاً بيدها.

«إنه فعلاً مكان رائع! لا بد وأنك تعرف أكثر الخلجان

المنعزلة والصغيرة، وتوزع لقاءاتك عند كل خليج وعلى عدد أيام الأسبوع.»

«على الأقل، هناك خليج لكل فتاة من اللواتي أعرفهن وأكون قد أبعدت الغيرة القاتلة من قلوبهن، أما هذا المكان فهو للأشخاص المميزين والمناسبات المميزة.»

أحاط خصرها بذراعه متقدماً بها نحو حافة المياه.

«هذا هو المكان الرائع الذي حدثتك عنه، فمياهه دافئة والوصول إليه شبه مستحيل، بين تلك الممرات الصخرية الضيقة. إنه لنا وحدنا وضيق مساحته لا يسمح باستقبال أناس آخرين.

ارتجفت كايت لعبارات أليكس الأخيرة. إنها في قبضته الآن، وهيهات أن تستطيع الفرار عبر تلك الصخور الوعرة والممرات الضيقة، ولكن القدر أراد لها ذلك، فهل فعلاً تريد ذلك؟

«إنه فعلاً مكان هادىء ولطيف.»

«كما أنك جميلة للغاية.»

حدق أليكس مطولاً في وجه كايت وازعجها لمعان عينيه الغريب. «هل أخطأت يا ترى؟ أليكس، ماذا هناك؟ هل فعلت شيئاً أغضبك؟»

لم يتكلم، لكنه هزّ رأسه بانزعاج. «لا شيء، لم ترتكبي أي خطأ يذكر يا كايت، أنتِ في غاية العذوبة والجمال وأنا لا أثق بنفسي.»

بدل أليكس ملابسه استعداداً لملاقاة البحر.

«سأستحم الآن، قبل أن يقترف كلانا شيئاً قد نندم عليه لاحقاً.»

لاحظت كايت انعكاس الشمس على بنيته القوية، وأخذها

الإرتعاش وهي تتذكر كيف عانقها، ولكن هل يكرر ذلك؟

هرع أليكس نحو البحر وأخذ يشق طريقه عبر المياه بخبرة واسعة، اتت من الممارسة الطويلة، متجاهلاً كايت التي تركها على الشاطىء.

ألقت كايت نظرة سريعة على حقيبتها التي تضم ثوب البحر. ولكن من المستحيل أن تشاركه العوم، ها هو يبتعد كي لا يقع في خطأ قد يندمان عليه، ولكن لدى عودته، هل تعود معه غرائزه وانفعالاته ويستغل عزلة المكان، لن تستطيع الهرب عندئذٍ، أو حتى أن تستغيث طلباً للمساعدة. تقدمت من المياه وداعبت الموجات الصغيرة قدميها، وبعثت مياه البحر الزرقاء المترقرقة السلام في روحها.

شعرت بالدفء، دفء المياه التي أشار إليها أليكس.

أخذ أليكس يلوح بيده من بعيد بفرح غامر: «تعالي! المياه دافئة.» وغطس مرة نحو الأعماق ليعود ويظهر على بعد أمتار قليلة منها، بجسده الأسمر المتلألىء تحت أشعة الشمس. «تعالي، سأنتظرك، قد تندمين إن لم تفعلي، سأدير لكِ ظهري وأنت تبدلين ملابسك، صدقيني لن أسترق النظر.»

«لا أخشى شيئاً من ذلك.»

حدقت بنظراته العابثة بشكٍ وحيرة، هل هي مخطئة؟ لقد أبعدته عن تهوره بممانعات كثيرة منها، وفهمت أنه يأخذ الحياة هكذا ببساطة وكيفما اتفق، هكذا البشر.

كان أليكس يعبث ويلهو في المياه وكأنه طفل صغير.

«سأقوم بغطسة أخيرة، إلا إذا غيرت رأيك وانضممت إليّ، أشعر بالبرد وأنا في انتظارك.»

«انتظرني، دقيقة واحدة وأنضم إليك.»

أسرعت كايت، تبدل ملابسها، القميص والسروال وهي تتلفت بين حين وآخر إلى الوراء، لتتأكد من أن أليكس لا يراقبها، وحدقت عيناها إلى ظهره الثابت والقوي. الواضح أنها لا تعرفه بما فيه الكفاية وأنه صادق، حسن النية.

«ها أنا قادمة.» وألقت بنفسها في الماء الدافئة ولحقت به.

أخذ ينظر إليها بإعجاب وذهول. «فعلاً، هذا يستحق الإنتظار.»

تسارعت دقات قلب كايت بحيث خيّل إليها أنه شعر بنبضاتها المرتعشة. «تعالي.» قال لها بلهجة آمرة: «لنتسابق نحو تلك الصخرة.»

غطست في الماء البارد وأخذت تسبح بحركات متوازية في اتجاه الصخرة التي أشار إليها أليكس. كانت تعلم جيداً أنها لا تستطيع الوصول قبله، وقد ساعدها هذا الأمر كثيراً في تهدئة أعصابها المرتعشة وأعادتها إلى حالتها الطبيعية، على أية حال، إنها لم تتوصل بعد إلى حقيقة مشاعره تجاهها أو ربما مشاعرها هي تجاهه.

لحق بها وهو يراقب حركاتها البطيئة في السباحة، مقارنة بحركاته السريعة المتزنة. «أرجو أن لا تكوني نادمة، فالمياه دافئة كما قلت لك.»

«إنها مدهشة.» وأخذت تسبح على ظهرها، تحرك ذراعيها بطريقة مرنة وعيناها تحدقان بزرقة السماء الصافية. «لا لا، أنا لست نادمة، وأرجو أن تتوقف عن ترداد هذا القول. والذي يجول في مخيلتك لا علاقة له بالأرق الذي ألمّ بي ليلة البارحة أو بالذي نحن فيه الآن، كما أني ما عدت أذكر شيئاً منها.»

بحركتين سريعتين من ذراعيه القويتين، وصل أليكس إلى الصخرة التي كانت هدفهما وتسلقها، ثم انحنى ليساعدها في الوصول إلى المكان المسطح منها.

نظرت كايت وهي تستعرض المكان الضيق.

وقالت: «إنها ليست فسيحة كما خيل إليّ.» احتضنها أليكس بحنان وقال: «أظن أنها فسيحة بما فيه الكفاية، وحاذري من السقوط فالمياه باردة في هذه الناحية.»

شعرت به بقربها، بشعره الأسود الكثيف الذي يغطي جبهته، فارتعشت أوصالها.

كأنه أحسّ بما يدور في خلدها، فمد يده ليبعد خصلات شعرها عن وجهها وانحنى بوجهه يلثم وجنتيها.

«يقال إن حوريات البحر كنّ يتمددن فوق هذه الصخرة.»

أحست كايت بقلبها يهوي بين ضلوعها واضطربت بشدة لا مثيل لها. «جرّب، قد تحظى بالجواب على سؤالك.» وعبثاً حاولت دفن تلك الرغبة منذ، منذ متى؟ منذ أول لقاء بينهما؟ لا تدري، ولكن هذا لا يهم الآن.

مالت برأسها نحوه، فابتسم أليكس: «أنتِ رائعة يا عزيزتي.»

«أنت كذلك.»

لحظات رائعة، ليتها تدوم، ويبقيان هنا، في هذه الجنة الصغيرة ويسبقان الزمان، و...

«تعالي يا حوريتي.» وقفز في اليم ورفع ذراعيه في اتجاه كايت التي ارتمت فوق صدره، وأخذ يدفعها نحو الشاطىء بلطف وأصابها الإرتعاش. إنها لم تكن على خطأ، فنظرات أليكس النهمة أخذتها بعيداً وإلى أعماق كعمق

البحر نفسه، وأحست بأنها فقدت إرادتها وسيطرتها على نفسها فهي لا ولن تستطيع الصمود في وجهه.

وصلا إلى الشاطىء وفي عينيه بريق مخيف، إنه يريدها وبقوة.

«أنتِ جميلة للغاية.» وأخذ يجذبها نحوه بعنف، واستسلمت له وهي تدفن وجهها فوق صدره المبلل.

«هل تريدينني يا حوريتي؟ لا تستطيعين قول خلاف ذلك، فقد كان يمكنك الهروب صباحاً أما الآن فمن الصعب ذلك.»

حملها كطفلة صغيرة ثم وضعها فوق الرمال الدافئة، فبقيت من دون حراك تنتظر خطواته اللاحقة.

أخذ يتأملها لثوانٍ قليلة، ثم انحنى إلى جانبها بهدوء وأخذت عيناه تضيقان وهو يتفحصها بنظرات كنظرات الصقر.

«لن تستطيعي الهروب الآن، لكنك لن تفعلي هذا، أليس كذلك؟»

«لا يا أليكس، أريد أن أبقى معك وإلى الأبد.»

تذكرت بأن مايكل كان يتهمها بأنها فتاة من الطراز القديم وغاب عنها مدى تمسكها باستقلاليتها الذاتية التي تعتز بها، وكانت قد قررت بأنها لن تعاشر الرجال، أي رجل، مهما كان. ولكن ماذا عن أليكس وطيبته اللامتناهية معها، فقد كانت تشعر وهي بين يديه بالمسرة والإنتعاش: «يا حبيبتي.» وصحت كايت من البهجة العامرة على صوت أليكس العذب: «الشمس تشع بأنوارها الدافئة علينا، وكأن شيئاً لم يكن، كايت؟» نظرت إليه نظرات دافئة ورأت ابتسامته الخلابة تشع فوق شفتيه.

«أين أنتِ؟»

«فوق... فوق الغيوم، في مكان ما من الأعالي.» وأشارت بيدها نحو السماء الزرقاء: «لقد عادت زرقة السماء بعد أن احتجبت بغيوم سوداء.»

«إنها الآلهة، فغيرتها الشديدة دفعتها إلى سرقة الشمس واحتجبنا عنها.»

«لماذا تبتسمين؟»

«لست أدري، ربما لأني أشعر بالسعادة تغمر روحي وكياني.» ورمقها بنظرات ملؤها الحب والحنين.

«الرمل يكسو جسدك العاري، وهذا معيب جداً، فاليونانيون يرفضون بشدة التعري عند شاطىء البحر، لست أدري أين شرطي السباحة، ولماذا لم يداهمنا بعد.»

«أظن، أنه لم يداهم أحداً حتى الآن.» وأخذت تنظر إليه نظرة فاحصة.

«أنت يوناني يا كيري اليكساندروس ديميتراكوس، هل أنتَ ترفض هذا أيضاً؟ أ... آسفة لم أقصد الإساءة ـ لقد تهت بأفكاري والحقيقة...» منعها أليكس من الإستمرار في الكلام وأنّبها بلا رحمة ولم يتركها إلا بعدما أنهك قواها وأهلكها.

«هذا العقاب هو ثمن لوقاحتك.» ثم أمسك وجهها بين يديه محدقاً إليه: «لم أخطط لهذا الشيء عندما طلبت منك البقاء صباح اليوم.» وشعت ابتسامة عذبة فوق شفتيه: «لكني لست نادماً، هل أنتِ نادمة؟»

اهتزت كايت ببهجة عامرة وهي تهز رأسها، تنفي ما قاله أليكس: «لا... لا، لست نادمة.»

الفصل الثامن

لم يتكلما خلال رحلة العودة إلى منزل كايت وكانت منشرحة الصدر وفي غبطة عامرة، تفسح لخيالها المجال أن يعود إلى تلك اللحظات الممتعة التي أمضياها سوياً.

«أظن أن رحلة هادئة ومريحة قد تكون أمتع بعد الذي...» ومرر يده على وجنتها باسترخاء، وسمعته يضحك عندما اضطر إلى سحب يده ليتسنى له قيادة أفضل.

لكن كيف وإلى أين سيكون المصير؟ وحاولت أن تبعد هذه التساؤلات عن ذهنها ولكن بلا جدوى، ماذا سيحدث بعد الرجوع إلى المنزل؟ وماذا ترى سيفعل في الغد؟ هل تستطيع محو ذكريات هذا اليوم ثم ترحل وكأن شيئاً لم يحدث؟

بالتالي، هذا الرجل الذي بقربها، هل يعني لها شيئاً؟ وفكرت خلال رحلة العودة التي يقطعانها بصمت وفي رأسها تساؤلات مبهمة، غامضة، لا جواب لها. وحاولت قطع تلك الأفكار والعودة بها إلى مشاريعها العملية التي كانت تخطط لها و«المتجر» الذي قررت تأسيسه مع ليز وهل هذه الأخيرة تعمل لحسابها الآن من دون أن تشارك أحداً؟ وشعرت بأن هذه الأمور بعيدة جداً وليست على قدر من الأهمية الآن. ولكن، الأهم اليوم، هو مشاعرها الحقيقية التي تربطها بأليكس.

حين اقترب بها إلى الطريق المؤدي إلى المنزل، قالت

بعذوبة ورقة: «تمنيت أن أدعوك إلى وجبة من الطعام ولكن، وللأسف، لا طعاماً في الكوخ، فكما تعلم كنت عازمة على الرحيل صباح هذا اليوم.»

«لا أستطيع أن أتصور ما الذي حدث وكيف عدلتِ عن فكرة الرحيل، أما بالنسبة إلى وجبة الطعام التي ذكرتها، سأدعوك لنتناولها خارجاً، على العموم إنها ليلتك الأخيرة، ليلة الوداع.»

خابت آمال كايت حينما أعلن كلمته الأخيرة. ولامت نفسها على ما تفوهت به، فإصرارها الدائم على الرحيل دفع أليكس إلى عدم تكرار محاولاته التي لا فائدة منها ومن تكرارها.

«آسفة، لقد شردت بأفكاري.»

«هل باستطاعتك أن تؤدي لي خدمة قبل أن نخرج؟»

«طبعاً.» قالت كايت وهي تتساءل: ما الخدمة التي يريدها أليكس؟

«الذي أحتاج إليه أكثر من أي شيء آخر، هو حمام دافيء يريحني، فرمال الشاطيء تركت أثارها على جسدي، وأظن أنها فعلت بك ما فعلته بي تماماً.»

أوقف أليكس سيارته أمام باب المنزل، ثم أسرع لمساعدة كايت بالترجل من السيارة.

بعد فترة من الوقت، بعد أن أخذت كايت حمامها، سُمع طرق على الباب الأمامي. صاح أليكس، مكلماً كايت وكان قد استحم وانتهى لتوه، من ارتداء ملابسه: «هل تنتظرين أحداً؟»

«آسفة، لم أفهم، هل قلت شيئاً؟» وعاد الطارق المجهول يقرع الباب الأمامي، عبست كايت قائلة: «من يكون هذا؟ يا له من وقت مزعج للزيارات...»

«الظاهر أنهم متحمسون لرؤيتك، هل أذهب وأتحقق من الطارق؟ فأنت لست جاهزة لاستقبال أحد، وأنتِ على هذه الصورة.» مشيراً بيده إليها وهو يقول مازحاً: «مع كل هذا الإحتشام الذي أراه أود لو تقارنين بـ ...» وشدت كايت المنشفة جيداً حولها. «هذا يختلف تماماً.»

«أوافقك الرأي، هناك اختلاف كبير... و... كلانا تحت أشعة الشمس، فوق الرمال الدافئة...»

«ما زلت أحاول إزالة أثارها عن شعري، وأكون شاكرة وممتنة لك لو ذهبت ورأيت من في الباب، وسألحق بك حالاً عندما أصبح جاهزة.»

فتح أليكس الباب الأمامي فتسمرت نظراته على رجل غريب، تتبدل ملامح وجهه بين الشك واليقين.

«هل أستطيع مساعدتك؟» سأله أليكس بلغته اليونانية ظناً منه أنه مواطن يوناني.

«هل أنت تائه، أم أنك تبحث عن أحد؟» ونظر الرجل إلى أليكس نظرات أخرى من الشك واليقين.

«هل تتكلم الإنكليزية، فأنا لا أجيد اللغة اليونانية؟»

ألقى أليكس نظرة سريعة على سيارة الأجرة ولاحظ اسم الشركة على نافذة السيارة، «ليس كل الزائرين يجيدونها.» وابتسم في وجه الطارق الغريب الذي أسعده أن الذي يكلمه يجيد لغته الإنكليزية بطلاقة.

«أرجو أن لا أكون أزعجتك، ولا أدري، قد أكون على

خطأ... ولكني أبحث عن فتاة إنكليزية تقطن في مكان ما في هذا الجوار تدعى الآنسة كايت بنواردن.

«آه... لا... لا لم تخطىء بالعنوان... إنها تقيم هنا.»

من دون أن يكلف نفسه عناء دعوته إلى الدخول، استدار أليكس وصعد بضع درجات فوق السلم هاتفاً: «كايت؟ عليك أن تسرعي بالنزول، لديك ضيف.»

«هل قلت ضيفاً؟ من هو؟ هل هو مايكل؟»

احتقن وجه كايت وهي تتلفظ كلماتها هذه وأحست بأنها على وشك السقوط، فأسرع أليكس يمسك بذراعها متجاهلاً علامات تعجب الرجل الآخر المحدق إليهما.

«هيا يا كايت، من الأفضل أن تنزلي إلى ضيفك.» ولم تشعر إلا وأليكس يساعدها على النزول، متوجهاً بها إلى غرفة الجلوس، ثم أجلسها على مقعد قريب وحدقت في وجه الرجل الذي أمامها، لقد كان لأسابيع خلت خطيباً لها، وها هو يلحق بها إلى اليونان، ولكن لماذا؟ «مايكل ما الذي جاء بك؟»

«أود أن أطرح عليك نفس السؤال.» أجاب مايكل وهو ينقل نظره بينها وبين أليكس، الذي كان ما يزال ذراعه يلف كتفي كايت بحماية ظاهرة.

«ألا تقدمينني إلى صديقك؟»

«آه... نعم... هذا اليكساندروس ديمتراكوس، تعرفت عليه في الطائرة.»

«لكنك تحسنت الآن بما فيه الكفاية كي تقومي بمثل هذه النزهات السياحية.» وأخذ ينظر إليها بنظرات فاحصة، فشدت المنشفة التي تلفها جيداً.

«كنت آخذ حماماً عندما وصلت.» شرحت له ولاذت بالصمت، ثم وجهت الكلام إلى أليكس: «مايكل يدير شؤون المحاسبة في المتجر.»

سقطت قطرات من الماء من شعرها على جبينها، فأدركت الوضع الذي هي فيه، مما جعلها تقف على قدميها وهي ترمق الرجلين باستسلام ظاهر.

«المعذرة، يجب أن أرتدي ملابسي، لقد فاجأني قدومك في هذا الوقت غير المنتظر.» لم يجب مايكل، لكنه نظر إليها نظرة حادة واقترب منها ليهمس في أذنها: «يجب أن أكلمك، فأنا لم أقطع تلك المسافة الطويلة من أجل كلام قليل ومقتضب، هل ممكن أن نتناول الطعام معاً؟ وأظن أن هذا المكان ربما يكون مناسباً، إن الذي سوف أحدثك عنه، خاص جداً.» وانتقلت نظراته الباردة نحو أليكس الذي كان ما زال واقفاً مكانه من غير أن يأتي بحركة، يراقب تقلبات الأحداث بأهمية بالغة. «عذراً، سأخرج مع أليكس الليلة، وستكون نوعاً ما، وجبة الوداع، يمكنك أن تمضي ليلتك في أي فندق وتعود غداً.»

بدت الكآبة على وجه أليكس ثم استدار بتوتر نحو النافذة وسدد نظراته إلى الخارج.

«هذا غير مهم يا كايت، لقد قطع مايكل مسافة طويلة ليراكِ ويتحدث إليك، فلنودّع بعضنا الآن، هذا إذا ما زلت مصرة على الرحيل غداً.»

«لقد توقعت ذلك منك يا أليكس، آسفة.» وتقدمت نحوه فأمسك وجهها، يداعبه ثم ضغط على يدها هامساً: «سوف أنكر هذا اليوم دائماً يا كايت، وأرجو أن لا تكوني نادمة.»

ونظر إلى الرجل الآخر نظرة سريعة، كانت تكفي ليقرأ على وجهه انفعالات الشك والريبة.

«لن أقف في طريقكِ يا كايت.» ثم استدار وخرج عبر الباب المفتوح في اتجاه سيارته قبل أن تتفوه بكلمة اعتراض واحدة.

وقفت جامدة، ذاهلة وهي تلف ذراعيها حول جسدها وكأنها تحتضن الذكريات. وتخيلت البحر الصافي وتذكرت اللحظات العزيزة على قلبها، التي أمضياها عند ذلك الشاطىء.

«كايت!» جاء صوت مايكل، معيداً إياها إلى الواقع وعادت إلى الداخل بخطوات متعثرة.

«تعالي يا كايت، لا يمكنك الوقوف على هذا النحو في الخارج، فهذا غير لائق، اسرعي وارتدي ملابسك، يجب أن أكلمك.» تقدم منها بخطوات واسعة وأمسك بيدها قائلاً: «لقد قطعت مسافة طويلة لأراك وأكلمك، كما قال صديقك.»

سمعت كايت رنة استهزاء في صوت مايكل بعد كلمة «صديقك» لكنها لم تعلق بشيء، ثم أن الوقت غير مناسب للحديث عن علاقتها بأليكس وصعدت درجات السلم قائلة: «سنضطر إلى تناول الطعام في الخارج، آسفة فلا يوجد أي شيء عندي في المنزل، ذلك لأنني سأرحل في الصباح الباكر.»

لم يكن لديها أية شهية للطعام، ولكن الحديث الذي يريد أن يحدثها به مايكل بإلحاح شديد قد يكون من الأفضل التحدث به خارج جدران هذا المنزل. «ولكن لماذا أنتِ على عجلة من أمرك وتريدين الرحيل؟ لقد فهمت من ليز أنك

ستبقين أسبوعين على الأقل؟» وأضاف بعد فترة: «كيف كان يمكن أن أجدك لو رحلت بهذه السرعة؟»

تنهدت كايت قائلة: «ومن أين لي أن أعلم بأنك ستأتي للبحث عني؟ أشياء حدثت لم أكن أتوقعها أو أريدها، وأحسست بأنني بحاجة إلى رؤية المزيد من الأماكن في هذه البلاد.

«إذاً الأمر لا يتعلق بذلك الرجل، الكساندروس، لن تذهبي معه، أليس كذلك؟»

«هذا من أموري الخاصة، ولا يعنيك فيما لو أردت ذلك، ولكن، وإذا كان الأمر يشعرك بالإرتياح، اطمئن، لا لن أرحل معه.»

انفرجت أسارير مايكل وهو يخرج برفقتها من المنزل من دون أن يعلق بشيء قائلاً لنفسه: «هناك متسع من الوقت.»

«من الأسهل لو نخرج بسيارتي، فأنا أعرف الطرق هنا، كما أني أعرف أنك غير ملم بالطعام اليوناني ولا مجال للإختيار في هذه الأمكنة.»

خرجا معاً نحو القرية، يلفهما صمت مطبق، وخلال تناول الطعام، نظرت كايت إلى خطيبها السابق وهو يفتت قطع الخبز، محدقاً في الوقت نفسه في الغيوم السوداء من خلال النافذة.

«الجو ساحر نوعاً ما في هذه القرية، ولكنه ساكن وهادىء جداً لتمضية إجازة طويلة.»

«من أجل هذا جئت إلى هنا...أردت أن يكون مكاناً منعزلاً يغمره السلام والطمأنينة حيث أستطيع التفكير في أموري الخاصة.»

«وهل توصلت إلى شيء؟» سألها مايكل بطريقة تهكمية: «في منزل منعزل، هذا ليس من عادتك يا كايت، كما وأنني لم أعرف ذلك عنك في السابق.»

أفرغت كايت ما في الكأس في جوفها لتقول: «سأترك في الحال، إذا واصلت توجيه الإتهامات، لقد قلت إن أليكس ليس أكثر من صديق.»

شعرت بضربات متتالية تطرق قلبها، عندما تفوهت بتلك الكلمات. لم يكن أليكس صديقاً بعد الذي تمّ بينهما في هذا اليوم الرائع. ولكنها كانت تعلم جيداً أن حقيقة علاقتهما يجب أن تبقيها سراً لنفسها ولن تشارك أحداً بها، خاصة هذا الرجل الذي أمامها.

«لقد كنا نستحم عند شاطىء البحر ومن ثم قررنا الخروج مساء لتناول طعام العشاء هذا كل شيء، أما إذا كنت لا تصدقني؟ فأنت حر.» ودفعت بكرسيها إلى الوراء تحاول النهوض من مكانها، فأمسكها مايكل في معصمها وقال: «لا، آسف، ما كان يجب علي أن أقول هذا، ولا شأن لي بالذي تقومين به اليوم.»

حرر معصمها من يده وبدا متجهماً متعباً، وأشفقت عليه كايت، فقد كانت مغرمة به وعلى وشك الزواج منه منذ مدة ليست ببعيدة، وانتهى كل شيء اليوم. حتى أن مايكل شعر بأنه من المستحسن عدم الإستمرار في هذه المقابلة المؤلمة.

«إذاً ما الذي جاء بك؟ قد يكون السبب في غاية الأهمية...»

«أنه لكذلك.» أعلن مايكل بصوت عالٍ، جعل جماعة من

الناس إلى الطاولة القريبة منهما، يلتفتون ويحدقون إليهما. «أنا أعلم جيداً بأنني تصرفت بحماقة بالغة، ألا نستطيع الخروج من هذا المكان، فمن الصعب التكلم وسط هذا الجمع المحيط بنا.»

ألقت كايت نظرة متفحصة حولها وقالت: «لا داعي للقلق، فجميعهم يونانيون وعلى العموم يمكننا الخروج والتنزه عند الميناء، إذا كان يريحك هذا أكثر.» ونهضت متجهة نحو الخارج.

«سوف تعجبك القرية أكثر لو شاهدتها من هناك، حيث تلفها الجبال من كل صوب، ويكون المشهد رائعاً أكثر عند حلول الظلام.»

«لم أقطع كل هذه المسافات من أجل أن أستعرض المشاهد الرائعة.» أعلن مايكل وهو يخطو خطوات واسعة ليقف وجهاً لوجه أمامها قاطعاً عليها الطريق: «أنتِ تعلمين جيداً سبب مجيئي والذي كان بيني وبين كارول كان مجرد نزوة عابرة.»

حدقت كايت في وجهه بخوف وتساؤل: «والطفل، هل هو نزوة عابرة أيضاً؟ ربما قد تكون غلطة ولكنك لا يمكن تجاهلها وكأنها غير جديرة بالذكر، إن الذي تتكلم عنه مخلوق بشري.»

«لم يكن هناك أي طفل، لقد كانت كذبة ملفقة.»

«هكذا إذاً؟»

«لقد عدت اليوم لأعتذر منك بكل أمانة وصدق. لقد أهنتك يا كايت ولكن، وكما قلت لكِ، إنها علاقة عابرة، أقسم لكِ بأنني لم أستطع السيطرة على نفسي، ولكني، أريدك أنتِ وبقوة.»

«هل تظن أن الأمور ستعود إلى نصابها بعد الذي كان، والذي فعلته وقلته، بأني لست طبيعية عندما رفضت فكرة إنجاب الأطفال، هذا ما تأذيت منه أكثر من علاقتك مع كارول وأكثر بكثير من قصة الطفل وما كنت أعرف أنها كذبة ملفقة، كنت تعلم جيداً أني لا أستطيع تأسيس عائلة ومع هذا تكلمت وأهنتني.»

حاول مايكل إمساك يدها لكنها ابتعدت عنه مضطربة.

«أعلم يا كايت أنه كان أجدر بي قطع لساني عندها، أنتِ تعلمين جيداً أن من المستحيل أن أطعن بك، ولكنني أستطيع العيش من دون أولاد.» وتابع بلوعة وتوسل بالغين: «أكثر الناس يعيشون من دونهم، ولكن من الصعب الإستمرار من دونك أنتِ.»

استدار نحوها وحاول ضمها إلى صدره، وأحست بالغثيان وهو يقترب منها أكثر، أبعدته عنها بسرعة، فهو ليس الرجل الذي تطمح إليه.

«لن ينفع شيء يا مايكل، مهما كان طول الفترة التي تمنحني إياها للتفكير.»

أجاب مايكل متوسلاً: «أرجوك، امنحيني هذه الفرصة وأعدك بأن شيئاً من ذلك لن يتكرر ثانية، أرجوكِ، أريد أن أعلم على الأقل، إذا كان هناك من أمل، ولو طفيف، في أن نعود إلى بعضنا البعض، وهذا هو سبب مجيئي إليك.»

أحست بالريبة والشك من كلمات مايكل وتوسلاته الشديدة.

«أريد منك جواباً صادقاً وواضحاً.» لم يستطع مايكل مواجهة نظراتها الحادة، المعبرة عن فهم كل شيء، وفي

هذه اللحظة فهمت وتوصلت إلى ما تصبو إليه.

«هناك أمر آخر يتعلق بمجيئك إلى هذا المكان، وليس سببه أنك تتألم لفراقنا كما أشرت، أعتقد أن هناك أموراً أخرى ضغطت عليك وجعلتك تسرع إلى هذا المكان عارضاً علي الزواج مرة أخرى.»

«دعيني أشرح لكِ يا كايت.» وحاول أن يمسك بها لكنها انتفضت وابتعدت عنه.

«كيف تستطيع فعل ذلك؟ لقد عدت تحاول إقناعي مرة ثانية بأنك تريدني وتحبني وبأنك تريد فرصة أخرى، يا إلهي وهل تتصورني سهلة المنال بهذا الشكل؟» ابتعدت عنه خطوات، والبرودة في جسدها تهزها بعنف.

«لم تفهمي جيداً.» قال مايكل وهو يقترب منها بهدوء: «يجب أن نبدأ من جديد، وفي بلاد مختلفة.»

«في بلاد مختلفة؟» حدقت كايت في وجهه بذهول. «ما الذي تريد قوله يا مايكل؟»

«جئت إلى هذا المكان لأسألك فيما لو تودين الذهاب إلى طوكيو؟»

«فهمت.» قالت بصوت ضعيف.

«لا، لم تفهمي شيئاً... لقد عرض عليّ مركز هام في طوكيو.» وتوقف مفتشاً على الكلمات المناسبة، لكن كايت أسرعت تقول: «إنهم يريدون رجلاً متزوجاً من أجل ذلك المركز الهام في طوكيو. لا، من أجلنا نحن الإثنين.»

قال بإلحاح شديد: «بداية جديدة في بلد جديد هو كل ما نحتاج إليه، إنه مكان رائع وستسعدك الإقامة فيه.»

«وماذا عن أعمالي؟ أم هل غاب عن بالك كل المشاريع

والخطوات المستقبلية التي أريد تنفيذها، وكل ذلك إرضاءً لجشعك ورغبتك الشديدة في المركز الهام المعروض عليك؟»

«لقد فكرت ملياً بهذا الأمر وتحدثت مطولاً مع ليز»

دهشت كايت لتصريحاته الوقحة وأخذت تستمع إليه.

«إنها مستعدة لتحمل كافة المصاريف، كما أني مستعد لمزيد من المساعدة من أجل إنشاء المتجر الجديد، وأستطيع تحمل كل تلك الماديات، وبعد عودتنا من طوكيو، تستطيعين إدارة كل شيء من جديد، وأظن أنه من الأفضل أن تباشري أي عمل هناك لملء الفراغ.»

تراجعت كايت إلى الوراء غير مصدقة ما سمعته إذناها.

«لقد جهزت كل شيء بإتقان، أسامحك على خطأك وتحصل على ذلك المركز العظيم والهام، وتدير ليز الأعمال كافة، وأنا وبكل بساطة، أوافق على كل هذه الأمور المبهجة بكل طيبة خاطر، آه طبعاً، لقد نسيت شيئاً، يمكنني إدارة أي عمل في طوكيو من أجل ملء الفراغ.» وأخذت تضحك بسخرية متابعة كلامها: «من المفروض أن أشكرك على هذه العروض التي لا يتقبلها العقل. لقد فهمت الآن أين تضع أولوياتك. سأقول لك شيئاً نهائياً لا بحث فيه ولا جدال، لن تستطيع إقناعي بالزواج منك حتى ولو كنت الرجل الأخير في حياتي، ولا أظن أني أحببتك حباً حقيقياً في يوم من الأيام.» تركته واختفت تحت الظلام، مسرعة في خطاها وتتعثر بالحبال المكومة فوق أرض المرفأ، نحو سيارتها.

الفصل التاسع

تذكرت كايت أنها تركت مايكل على شاطىء تلك القرية وهو الغريب عنها، ولكن بامكانه إيجاد سيارة أجرة، وفي حال، يكون قد نسي عنوانها، فهذا ليس من شأنها قطعاً.

ها هي تعود إلى المنزل مرة أخرى، وبعد أن أضاءت الأنوار أسرعت وارتمت على أقرب كرسي من دون أن تكلف نفسها عناء الصعود إلى غرفة النوم، فهي لن تستطيع النوم في أية حال من الأحوال. وكانت تعلم ذلك جيداً.

لا بد وأنها غفت غفوة ليست طويلة، عندما استفاقت فجأة على صوت قوي، صادر عن كبح سيارة أمام المنزل. قد يكون مايكل آتياً في سيارة أجرة، وسمعت أبوابها تفتح وتغلق بعنف بينما عادت السيارة أدراجها. سيرى مايكل سيارتها ويعلم بوجودها، وقد يحاول الدخول، وتناهى إلى سمعها صوت خطواته، متقدماً من الباب الأمامي وسمعته يتوقف لكن لا شيء حدث بعد ذلك. سمعت خطواته تتراجع وصوت سيارة أخرى تتوقف ثم تعود من حيث أتت وكأنها تخرجه نهائياً من حياتها.

هل أحبها بقدر ما كان بحاجة إليها؟ وهل كانت لديه القدرة على الحب، الحب في معانيه السامية الحقيقية؟

على العموم إنه ليس الوقت المناسب لتحليل مشاعرها، وهي على هذه الحالة المتعبة، ولكن شيئاً

واحداً كانت متأكدة منه وهو، أن لا سلطة لمايكل عليها بعد اليوم. وصعدت إلى الطابق العلوي بهدوء وتقدمت تلقي نظرة شوق على الغرفة الثانية التي شغلها أليكس آخر مرة قبل رحيله المفاجيء والسريع. أضاءت الغرفة ولمحت المنشفة التي أعطتها له، موضبة بعناية، فوق الكرسي، ورحلت بأفكارها إلى ذلك الشاطيء ونكرياته العذبة. لقد وهبته نفسها ومن دون أي تردد، وستهبه مراراً لو أحب وأراد ذلك.

استلقت على السرير وهي ما تزال ممسكة بمنشفة أليكس وكأنها طفلة صغيرة تحتضن لعبتها المفضلة. حتما إنه لا يريدها بعد الآن، وقد رأت ملامح وجهه المضطرب عند مغادرته المكان تاركاً إياها مع مايكل. لقد ظن أن...

انتفضت عن السرير، عندما صعقتها الحقيقة المجردة والواضحة.

لقد ظن أليكس أن «الندم» الذي تكلمت عنه، يصب في خانه مايكل، وأنها نادمة على أن الإنشقاق بينهما اتسع وزاد.

كان آخر ما تفوه به قبل خروجه: «لن أقف في طريقك.» لو أفصح أكثر عما كان يدور في خلده. والآن يفكر بها، وبغيرة قاتلة، من دون شك، أنها بين ذراعي مايكل في هذه الغرفة وعلى ذلك السرير، وإذا لم يكتب لها رؤيته مرة أخرى سيبقى هذا الأمر سراً من الأسرار، والحقيقة سيكتنفها الظلام.

همس شيء خفي في داخلها: ما هي هذه الحقيقة؟ هيا! اعترفي، على الأقل لنفسك، بأنك تدينين له بالكثير. وأخفت

وجهها بالمنشفة التي استعملها هذا الرجل، الذي هز مشاعرها بلطف وأصبحت جزءاً منه. هذا الرجل تحبه ومن دون أدنى شك، حباً لا حدود له.

كانت ثقتها بأليكس كبيرة، برغم أنها لم تكن تعرف عنه الكثير، سوى بعض الأمور السطحية عن عائلته ونوعية عمله، وذلك لأنها لم تحاول مرة طرح سؤال واحد عليه. فقط، عندما حاولت معرفة هوية تلك الفتاة التي يحتفظ بصورتها، وعندها هزّ رأسه بعناد طالباً منها عدم ذكر ذلك مرة أخرى.

أحست أن وداعه كان حازماً ونهائياً. وقالت لنفسها إنه يظن بأني لا أكترث به، ولكني أكترث، أكترث به بشدة.

لم تحتمل فكرة عدم رؤيته مجدداً، وهذا ما لا تستطيع تحمله فاغرورقت عيناها بالدموع لتنساب فوق منشفة أليكس وعادت لتقربها من وجهها، هامسة، مرددةً اسمه مرة ومرتين ومرات وبإصرار.

«أليكساندورس... أليكس أحبك...»

إن أقصى ما تريده اليوم هو تمضية ما تبقى من عمرها معه، تهبه نفسها وله وحده دون الجميع، أما عن عنجهيتها، واستقلاليتها وحتى عملها الذي تفتخر به، فما عادا يعنيان لها شيئاً، سوف تتنازل عنهما كلهما إذا استطاعت البقاء قربه إلى الأبد.

يجب أن تخبره عن حقيقة شعورها تجاهه. ولو أن الوقت صباح، لهرعت تبحث عنه في كل مكان.

لم تستطع النوم، فأسرعت بالنزول إلى الأسفل وأعدت لنفسها فنجاناً من القهوة وأخذت تطوف في أرجاء الغرفة

كعصفور مسجون في قفص، تحاول جمع أفكارها وتركيزها إلى أن يبزغ الفجر.

استفاقت من نومها، متشنجة الأعصاب، مثقلة العينين، لا تدري أين هي ولماذا هي في هذه الحالة المتعبة، وتذكرت أليكس ومايكل.

أسرعت إلى الحمام تغسل وجهها وعنقها بمياه باردة، وحملت حقائبها التي كانت ما زالت مكانها، حيث وضعها أليكس بالأمس. ألقت نظرة سريعة حولها قبل أن تخرج وتقفل الباب الأمامي من وراءها للمرة الأخيرة، واستقلت سيارتها متوجهة نحو قرية أليكس.

قادت سيارتها نحو الميناء وأوقفتها بعيداً عن منزل أليكس. كان الهدوء يعم المكان، فالوقت ما زال باكراً ومراكب صيادي السمك لم تعد بعد من رحلتها الليلية.

كان منظر البحر رائعاً، بلونه الفضي الصافي، تهب منه نسمات عليلة منعشة. ولكن الوقت غير مناسب للتمتع بهذه الأشياء الساحرة، فأبصارها كانت متوجهة نحو الباب الأمامي لمنزل أليكس، وهي تفكر بذلك اللقاء والأسلوب الصحيح للتداول معه.

كانت متأكدة من أنه ما زال في منزله. فسيارته متوقفة هناك في الفناء والوقت مبكر ليقله أحد ما في سيارته إلى فندقه.

تخيلته نائماً في سريره، غير دارٍ بمن ينتظره خارج المنزل وتمنت أن تكون معه وقربه يجمعهما سقف واحد.

تبدلت تلك الصورة الساحرة في مخيلتها لترى الباب الأمامي ينفتح ويخرج منه أليكس، نقنه طويلة ويرتدي

ملابس رثة وممزقة، وهذا كله كافٍ لينبئها بأنه أمضى ليلة متعبة يسودها الذهول والتشرد، لماذا يبكر بالخروج من منزله؟ هل هو ذاهب للبحث عنها؟ والتقطت أنفاسها وهي تراقبه. ها قد توقف أمام سيارته وتردد في حركاته وهزّ رأسه وعاد يقفل باب السيارة بعنف، وأخذ يسرع الخطى نزولا نحو الطريق المؤدي إلى رصيف المرفأ.

الآن! يجب أن أكلمه الآن. هذا ما قالته كايت لنفسها.

أحست بقلبها يهوي بين ضلوعها وهي تغادر سيارتها وتقفل الباب بهدوء. وعدت نحوه بسرعة بالغة في اتجاه المرفأ، ونادت عليه: «أليكس!» وجاء صوتها خافتاً، فلم يسمعها. «أليكس!» وعادت تناديه مرة أخرى بقوة.

«أليكس! انتظرني، هناك أشياء من الواجب أن تطلع عليها.»

استدار أليكس نحو المنادي وانفعالات كثيرة تغمر وجهه، لم تستطع كايت تمييزها، لبعد المسافة بينهما. وتمنت أن تكون انفعالات فرح.

«ماذا تفعلين هنا؟» جاءها صوته بارداً، هز أوصالها.

«حسناً؟»

حاولت كايت تمالك أعصابها من روع الموقف قائلة: «يجب أن أطلعك على بعض الأمور ومن الضروري أن تعرفها.»

«حسناً...»

اقتربت منه بضع خطوات، حتى تبينت ملامح وجهه المتجهم وشعرت بأنه سيتركها ويسرع إلى منزله من دونها.

«ما هو الأمر الذي تريدنني أن أطلع عليه؟ سأستقل قاربي إلى عرض البحر وأكون ممتناً لو تتكلمين وبسرعة.»

حدقت إلى وجهه بأسى عميق، ما الذي تستطيع قوله وهي تشاهد هذا الإزدراء يكلل وجهه؟

«دعيني أساعدك.» زمّ شفتيه بسخرية بالغة وتابع يقول: «أمن أجل هذا، اتيت؟ بما أنك تجدين صعوبة بالعثور على الكلام المناسب، والحقيقة أني أقدر مجيئك المبكر إليّ لتقولي لي.» «أقول ماذا؟» وأصيبت بالذهول التام. وحاولت أن تجد مبرراً لنبرته الغريبة تلك.

«لتقولي لي بأنكِ تشرفت بمعرفتي، على الأقل هذا ما أوحيت به إلي.» وأنتقل ببصره نحو جسمها المتناسق.

امتقع لونها وهي تقول: «أليكس... أنا...»

وأسرع أليكس يقول بصوت أجش: «أردت توديعي بعد أن عاد إليك خطيبك، وهذا ما سرني جداً وأتمنى لكما السعادة، يبدو أنكما تغاضيتما عن الذي جرى وأصبح في طي النسيان.»

سحب قاربه بشدة ظاهرة. «الندم... هذا ما كان يقلقك ويعذبك منذ البدء وقد تخلصت من معاناته اليوم، وبالمقابل أقول لك وبصراحة، لست نادماً على شيء.»

ابتسم بمرارة وهو يرتعش، وتابع يقول: «لست قاسياً بمشاعري، إنما أود أن أضيف إلى مفكرتك ذكرى أخرى سعيدة.»

جذبها نحوه بعنف.

«هل يعانقك مايكل على هذا النحو؟»

تلفظ أليكس بكلماته القليلة هذه بحنق بالغ: «ما زال في منزلك على ما أظن.»

كانت أصابعه تضغط عليها بعنف. «هل أطلعته على هروبك القصير بالأمس؟ أو أنك نسيت؟ أو قد يكون رجلاً سمحاً لا يهتم بما يصادف فتاته في فترة غيابه، ولكن لو كنت فتاتي لن أسمح لأحد بالتقرب منك أو ملامستك. هل يعلم بوجودك هنا مع حبيب الأمس؟ أم أنه غبي يظن بأنك تقومين بجولة صباحية هادئة؟»

انهمرت الدموع بغزارة من عيني كايت وأخذت تحدق إلى وجهه بوجل. «كيف تستطيع أن تكون قاسياً بهذا الشكل؟ لا أعرفك على هذه الصورة، كما أنكَ لم تدع لي أي فرصة للكلام، فمايكل وأنا...»

أسقط أليكس ذراعيه عنها، يدفعها عنه وكأنه يريد التخلص منها. «كيف تعرفين ولم تحاولي مرة معرفة من أنا أو من أكون؟ لقد كنت حارساً أميناً ومحباً في الوقت نفسه، وقد أثبتنا لك ذلك، أنا وماريا، يوم كنت بحاجة للعون، وعندما يحلو لك، تقولين وداعاً يا أليكس وشكراً جزيلاً.»

تابع يقول بعد أن تذكر بأنه ما زال ممسكاً بحبل القارب: «يجب أن أذهب.» وقفز إلى المركب ليعالجه، استعداداً للإبحار.

«أليكس! أرجوك أن تصغي.» وتكسرت الكلمات فوق شفتيها بفعل أزيز محرك القارب الذي وصل إلى أذنيها. وطرأ على ذهنها فكرة جديدة، لماذا لا تقفز هي الأخرى إلى المركب وتجبره على الإصغاء والإستماع إليها. وتلاشت هذه الفكرة

الأخيرة في رأسها مع تلاشي مركب أليكس عبر اليم.

وقفت كايت خائرة القوى، تراقب اختفاء المركب شيئاً فشيئاً، انها تحبه وبعمق ولو يدري كم تحبه، ها هو أمامها في ذلك اليم الواسع، يختفي عن ناظريها ومن حياتها إلى الأبد. وسيستمر في اعتقاده بأنها عادت إلى مايكل وسيتزوجان قريباً.

إتكأت إلى حائط المرفأ تحدق إلى البحر الذي أخذ أليكس منها. كانت تريده أن يستمع إليها، ولكن الكلام كان يتعثر في شفتيها، عند تهكمه وازدرائه الشديدين، في كل محاولة منها بالإفصاح عن لواعج قلبها.

اختفى مركب أليكس عن بصرها فحملت نفسها نحو سيارتها وأخذت تحدق برهة في الباب الأمامي لمنزل أليكس الذي فتح فجأة وأطلت منه ماريا بوجه يغالبه التأثر والإنفعال.

«كايت؟ ماذا تفعلين في هذا الوقت الباكر؟» ابتسمت كايت بتعب. «كنت أحاول شرح أمر ما لأليكس، ولكنه لم يترك لي أية فرصة.»

لم تستجب ماريا لابتسامة كايت وبقيت على حالها. «لقد كان منزعجاً جداً، ولم يتكلم منذ أن عاد مساء البارحة، والذي فهمته أن الأمر يتعلق بك.»

نظرتا إلى بعضهما البعض بأسى، وتبدلت ملامح ماريا وتقدمت لتقف إلى جانبها.

«من الأفضل أن تدخلي، لست على علم بالذي جرى بينكما، ولكن الذي أعرفه جيداً أنه لا يمكنك قيادة سيارتك وأنتِ في هذه الحالة.»

«لن أجبرك على الكلام فيما لو فضلت السكوت.» قالت ماريا بعد برهة من دخولهما المطبخ، حيث جلستا حول الطاولة لشرب القهوة، المحضرة سابقاً، وشعرت كايت بنوع من الدفء يغمر روحها فقالت: «الأجدر بي أن أتكلم عما جاء بي إلى هنا.» ثم تابعت تقول بهدوء: «وباستطاعتك إخباره لاحقاً، لن أستطيع التحمل أكثر فيما لو تابع شكه وظنونه بي، لم يعطني أية فرصة في الكلام، وهو يسدد اتهاماته إليّ.»

جمدت الكلمات في حنجرتها وأخذت تهتز بيأس.

«أنتِ مغرمة به أليس كذلك؟» سألتها ماريا بلطف. نكست كايت رأسها وقالت: «لكنه لا يدري بهذا الأمر، ويظن بأني عدت إلى مايكل.»

«مايكل!» بدت ماريا مستغربة مندهشة. «ومن يكون مايكل هذا؟»

«من المستحسن أن أبدأ قصتي من البداية.» تنهدت كايت: «هذا إذا كان لديك متسع من الوقت.» وابتسمت ابتسامة واهنة، فاقتربت منها ماريا وأخذت يدها بين يديها تحاول تهدئة روعها.

«لدي الوقت الكافي وأكثر.» وأخذت كايت تشرح لها كل شيء، ليس فقط عن علاقتها بمايكل، فترة الخطوبة والأسباب التي أدت إلى ابتعادهما عن بعض...

«هناك شيء آخر.» قالت كايت بصوت منخفض: «لقد ظن مايكل أن كارول ستنجب له طفلاً، لم أعلم أليكس بهذا الأمر، ولكن البقية يعرفها جيداً، فهذا الأمر مخزٍ ومؤذٍ ولم يكن لدي القدرة على إعلامه به.»

ضعف صوت كايت وأسقطت بصرها إلى الأسفل، بينما كانت أصابعها تحاول لا شعورياً طي أطراف غطاء الطاولة.

«لقد تركنا والدي، أمي وأنا، بعد ولادتي مباشرة وأحست وحدها بالهزيمة مع أني أعرف أن كثيرات من الأمهات يستطعن مواجهة هذا الأمر مع ولدين وأكثر ويواصلن صراعهن مع الحياة. لكن والدتي لم تستطع...» أضافت وهي تبتسم بمرارة: «وأخذنا ننتقل من مكان إلى آخر ولن أدخل في تفاصيل هذه الفترة من حياتنا وتدريجياً أمضيت بقية طفولتي في منازل خاصة برعاية الأولاد، بعضها جيد وبعضها الآخر ليس بالمهم.»

أظلمت عينا كايت قبل متابعة كلامها: «وهكذا كنت دائماً أتهرب من فكرة إنشاء عائلة خاصة بي، وظننت أنه ليس من العدل أن أنجب أطفالاً هكذا وبالفطرة، فلا تجارب لي بالعلاقات العائلية الحميمة والأولاد، وتعود ولتبدأ من جديد تلك الحقبة المخيفة من حياتي، لا، لا أستطيع المجازفة.»

غمرهما صمت كئيب، لكن كايت تابعت بعناد: «كان هذا الماضي، وقد مضى وولى الآن، وعاد مايكل البارحة ليبحث عني ليعيد الأمور إلى نصابها، وقال إن علاقته مع كارول لم تكن تعني له شيئاً وقصة الطفل كانت كذبة مزيفة ولا يهمه أمر الإنجاب قطعياً، كل الذي يريده هو أنا الآن لأن مطامحه المهنية تحتم عليه أن يكون متزوجاً.»

«هل جرى كل هذا البارحة مساءً؟» سألتها ماريا بهدوء.

أجابت كايت بيأس: «وصل مايكل بعد عودتنا، أنا وأليكس مباشرة.»

امتقع وجهها وهي تأمل أن لا تضغط عليها ماريا وتسألها: «عدتما من أين؟» فأسرعت تقول: «كنا على وشك الخروج لتناول طعام العشاء، ولكن مايكل ألحّ بأن الذي سيحدثني به لا يحتمل الإنتظار، وعندها رحل أليكس، ولكن الذي لم أفهمه يا ماريا هو معاملة أليكس القاسية لي. لقد قدمت لأعلمه بأن كل شيء انتهى بيني وبين مايكل، لكنه لم يصغ واتهمني بأني...» وأرخت رأسها ليستريح فوق راحتيها. «لا أريد ذكر ما اتهمني به، ولكنه كان على خطأ وأريده أن يعرف.»

عادت تلوذ بالصمت، فاستعجلتها ماريا: «ما هو الشيء الذي يجب أن يعرفه؟»

« أنني أحبه.» أجابت كايت بانكسار. «صحيح أننا تعارفنا منذ فترة وجيزة، ولكني أعرف جيداً أني أحبه، وإذا عاد وطلب مني البقاء، سأبقى من أجله ومعه إلى الأبد، لكنه لن يفعل، أنا متأكدة من ذلك، وسأرحل، من الأفضل لي أن أرحل.»

سحبت كرسيها مبتسمة: «شكراً لإصغائك يا ماريا ولك الإختيار في أن تخبري أليكس أو لا، هذا يعود لك، على العموم فهذا لن يغير شيئاً ولن يبدل رأيه من ناحيتي.»

مشت على مهل متجهة نحو الباب، لكنها التفتت عابسة نحو ماريا.

«هناك أمرٌ واحد أود معرفته قبل أن أرحل. تلك الليلة التي أحسست فيها بألم حاد في رأسك منعك من العشاء معنا، وحضر أليكس بمفرده...»

احنت ماريا رأسها تنتظر بقية أقوال كايت: « اضطربت عندما تذكرت مدى أهمية الأسرة وعلاقاتها الحميمة.» وألمتها الذكرى وصممت على أن تثابر وتجتهد في معرفة سبب انزعاجه وحنقه مهما كان الثمن لأنها فرصتها الوحيدة والأخيرة.

«قلت له، إذا كانت العلاقات العائلية تعني لك الكثير، لماذا لم تتزوج حتى الآن؟»

«بما أنه أفصح لك عن مكنوناته وتابع اللقاء بك، لا بد وأنه شعر... أظن أنك لا تعرفينه جيداً، كان عليك ألاّ تطرحي عليه هذا السؤال المريع.»

سألت كايت وهي تحس انها على وشك الاغماء: «مريع؟»

«لسنوات مضت كان أليكس متزوجاً من فتاة اسكتلندية، سمراء وجميلة، اسمها فيونا، وقد احتفظ بصورتها هنا...» وأشارت ماريا نحو الرف القريب.

«وفي محفظته أيضاً.»

«لقد كانا سعيدين جداً.» وتابعت تقول بصوت متهدج: «وكان لهما طفل، نيكولاس.» وحدقت كايت إلى الصورة الأخرى، صورة العائلة السعيدة والولد الصغير يبتسم في وجه والده، وأغمضت عينيها بألم. وتابعت ماريا: «وفي يوم من الأيام وبينما كانت فيونا عائدة من السوق، اصطدمت سيارتها بشاحنة كبيرة، وغيبها الموت في الحال هي ونيكولاس.»

استندت كايت على الحائط وهي تشعر بالإعياء والمرض. من أين لها أن تعرف هذه المأساة... والغريب في الأمر أن أليكس تابع رؤيتها مصراً على العلاقة

الحميمة معها، ولم يلمح لها بشيء طوال هذه المدة.

«منذ ذلك الحادث الفظيع ابتعد أليكس عن الفتيات.» قالت ماريا بهدوء: «حتى التقاك.»

أخذتا تنظران إلى بعضهما بألم، قبل أن تستدير كايت وتتجه نحو الباب الأمامي.

«لقد أسعدني أن تصغي إليّ، وإعلامي بكل...» وتوقفت عن الكلام عاجزة عن الخوض مرة أخرى في الحديث عن تلك المأساة. «آسفة، وحزينة جداً للذي جرى، وإذا شعرت يوماً بأنك تستطيعين شرح الأمر لأليكس...؟»

«من الأفضل أن تبقي وتشرحي كل شيء بنفسك.» اقترحت ماريا: «ولكنه ومن العدل، أن أذكر شيئاً آخر.»

نظرت إلى وجه كايت نظرات ملؤها الاضطراب وأحست بخفقان قلبها الوجل.

«تابعي!» وتلفظت بهذا الكلمة بارتعاش ظاهر. وأحست ماريا بأنها تدق ناقوس خطر جديد على مسامع كايت: «لقد كان يقول دائماً، بأنه لن يتزوج مرة أخرى، منذ ذلك الحادث المريع، ولم تجذبه أية فتاة. آسفة يا كايت ولكن لم أرد أن تبني قصوراً في الهواء ـ ولا أدري مدى شعورك نحوه.»

«ولا مدى شعوره نحوي.» ولكن الأوان قد فات.

خرجت كايت من المنزل، تجر أذيال الخيبة والألم.

الفصل العاشر

رنت كايت بنظرها نحو البحر، آملاً منها أن تحظى برؤية أليكس. هزت رأسها بألم واتجهت نحو سيارتها لترمي بنفسها داخلها، وأخذت تقطع الطريق نحو القرية بسرعة، غير مبالية بما قد يصادفها أو يحدث لها.

لم تصادف شيئاً من ذلك، ووصلت إلى الطريق العمومية بأمان وسلام. لم يكن لها هدف محدد وهي تقطع المزيد من الكيلومترات، إلى أن وصلت إلى مكان ليس بعيداً من شبه جزيرة ماني، وعندها أخذت تتنفس الصعداء.

استفاقت من أفكارها هذه على صوت بوق حاد أنقذها من خطر كادت ستقع فيه، في هاوية من الجهة اليمنى للطريق. تذكرت وآلمتها ذكرى الحادث الخطر، المماثل الذي ألمّ بها والذي استدعى أليكس لنجدتها.

لم تمض فترة من الوقت حتى وصلت إلى طريق جانبيه من الطريق العام، حيث وجدت لافتة، كتبت عليها أسماء قرى. كان في استطاعتها أن تكمل طريقها نحو المدينة التالية، ولكن شيئاً ما بداخلها أصرّ عليها أن تأخذ تلك الطريق الجانبية وتبحث فيها عن مكان منزوٍ تلجأ إليه وتعالج جروحها.

اهتدت أخيراً إلى نزل ترتاح فيه في الشارع الأخير من القرية التي وصلت إليها. وفور دخولها إلى الغرفة، رمت بجسدها المنهك فوق السرير النظيف، الناصع البياض.

لقد تعذر عليها العثور على فندق في تلك المناطق الريفية النائية، حتى وجدت في القرية هذا النزل الذي كتب على أحد نوافذه: « غرف للإيجار.»

كانت السيدة كافوبولو، التي تدير النزل، تتكلم الإنكليزية قليلاً جداً.

«الطعام، بعد قليل.» قالت بلطف وبكلمات ركيكة غير منتظمة: «لا توجد مطاعم هنا، حيث أنت.» ولما تعذر عليها لفظ كلمة «جائعة» بالإنكليزية ربتت على معدتها وكأنها تسأل كايت، التي قالت بامتنان: «شكراً جزيلاً، فأنا بحاجة إلى النوم قبل أي شيء.»

أرشدت السيدة كافوبولو كايت إلى غرفتها، صعوداً فوق سلم ضيق، خلف المنزل. «هل اعجبتك؟»

«عظيمة جداً وشكراً مرة أخرى.»

خلعت كايت حذاءها واستلقت فوق السرير بعد أن ألقت نظرة سريعة نحو الحديقة التي تظللها شجرة زيتون عتيقة وحيث يتفيأ في ظلالها كلب حراسة نشيط وحوله دجاجات تمرح بحرية.

سمعت طرقاً على باب الغرفة، بعد أن سجى الليل، فنهضت، وجلست في سريرها تفكر لوهلة في المكان الذي هي فيه.

«تفضلي.» وأضاءت نور الغرفة.

دخلت السيدة كافوبولو وفي يدها طبق الطعام ووضعته بعناية فوق الطاولة. «طعام، هل نمت جيداً.»

«شكراً جزيلاً.» وعادت كايت إلى سريرها ورائحة الطعام الشهي تعبق في المكان وأحست بالجوع فجأة.

«يبدو عظيماً.» قالت بحماس واضح، الأمر الذي جعل مضيفتها تنظر إليها بحنان قبل أن تغادر الغرفة.

قامت بنزهة قصيرة في شارع القرية بعد أن أعادت طبق الطعام الفارغ للسيدة كافوبولو، ومن ثم عادت وأخذت حماماً منعشاً وأسلمت نفسها لنوم عميق من دون أحلام.

أشرقت شمس الصباح، ترسل أشعتها الدافئة داخل غرفة كايت، استوت في سريرها كي تتمكن من مراقبة أغصان شجرة الزيتون في الخارج.

أغلقت عينيها، مستسلمة لهذا الحلم الجميل. يعم الهدوء المكان، لا يعكره سوى زقزقزة العصافير وأصوات الدجاج، توقوق لبعضها البعض. لم تحاول النهوض من الفراش لأنها كانت متأكدة من أن السيدة كافوبولو لا تمانع في ذلك البتة. وأخذتها الغفوة مرة أخرى، لتستفيق بعد أن تركت أشعة الشمس الغرفة، مخلفة وراءها ظلالاً خافتة. نظرت إلى الساعة المربوطة إلى معصمها ودهشت، إنها تشير إلى الحادية عشرة ولكن كيف؟ ونزلت إلى الأسفل لترى أن السيدة كافوبولو تركت لها طبق الفطور ولا أثر لها.

مضت بها الأيام على هذا المنوال، التنزه، تناول الطعام والاسترسال في النوم، لا تفكر بأي شيء آخر إلى أن برأت جراح قلبها المتعب.

هذا ما ارادته ليز لها ولكن ليس كما خططت له. فكرت كايت وهي تستريح فوق تلة صخرية، في يوم هادىء، حيث كان السكون يعم تلك التلال، والعصافير الصغيرة تزقزق سعيدة. وحملتها أفكارها نحو الرجلين اللذين ما زال طيفاهما يملآن حياتها.

شعرت بالحزن فجأة على مايكل وشعرت أنه مغرم بها بالفعل، ولكن على طريقته الغريبة الشاذة. وتخيلت وجهه، وكما عهدته لسنين طوال، قوياً، حاداً وناعماً على عكس ما كان غضوباً حانقاً، في آخر مقابلة جمعتهما في بلادها.

أليكس؟ شعرت بقشعريرة تسري في عروقها لمجرد ذكر اسمه. لو عرض أليكس الزواج عليها وهي بين ذراعيه، عند ذلك الشاطىء الرائع هل كانت وافقته على طلبه من دون تحفظ وبرضى تام؟

أخذها العجب من نفسها، فقد كانت تخدع نفسها طوال الوقت. وشعورها بالمحبة تجاه مايكل المسكين كان حقيقياً لا عيب فيه. أليكس هو الذي استطاع أن يلهب أحاسيسها كلها، قلبها، جسدها وروحها.

أنبأها عقلها الباطني بأن رفضها الزواج من مايكل لا علاقة له أبداً بالعذر الذي تمسكت به دائماً وهو عدم رغبتها بتكوين عائلة لها.

عادت صور طفولتها ومشاهدها تتزاحم في مخيلتها، ووعت إلى أن هناك أمراً آخر، يمنعها ويبعدها عن درب الأمومة، وهو أن مايكل ليس بالرجل المناسب ليكون والداً مثالياً لأولادها، ولا ذلك الحبيب الغالي على قلبها. لقد استسلمت لحب أليكس برضىً تام، ولو طلب أطفالاً منها فلن تعانده بل ستستجيب لطلبه بسعادة، ولكن هذا لن يتم، لا اليوم ولا غداً.

عادت كلمات ماريا تقضي على البقية الباقية من أمامها. لقد كان يقول دائماً بأنه غير مستعد للزواج مرة أخرى. ما من شيء أو أحد يستطيع إعادة زوجته وطفله إليه،

ومن أجلها وأجل سلامة عقلها، عليها أن تضع حداً لتلك الأحلام المستحيلة.

ربما الوقت قد حان للعودة إلى منزلها، بل إلى منزل السيدة كافوبولو الصغير، أو ربما إلى منزلها، أي بلادها حيث الأعمال برمتها في انتظارها.

شعرت بقوة غريبة تسري في عروقها وكأنها شفيت من مرض عضال، الحب، عليها أن تسترد عافيتها ونشاطها، وهذا ما قد بدأت به فعلاً.

في الصباح التالي، ودعت السيدة كافوبولو بعطف وامتنان بالغين، والتي أبدت كل الأسف لرحيلها. «تبدين أسعد بكثير الآن.» ابتسمت لكايت وهي تربت على كتفها: «أكلت جيداً، نمت جيداً في منزلي، وأنتِ على أحسن ما يرام، الآن.» وضحكتا معاً.

«إني على أحسن حال.» قالت كايت مؤكدة: «وتشكرين كل الشكر على ذلك، لقد كنت في غاية اللطف معي.» ولشدة تأثرها، تناثرت الدموع بغزارة فوق خديها. فهي لم تبرأ نهائياً بعد، مما تعانيه. وزادت السيدة كافوبولو الأمور تعقيداً عندما قالت وهي ترافقها نحو سيارتها: «فتاة جميلة مثلك بحاجة إلى رجل، إلى زوج، كما أنك بحاجة لأطفال لتكفي عن البكاء.»

أمسكت بيد كايت وهي تحدق في وجهها وتابعت تقول: «أظن أنك لست بعيدة عن هذا الهدف وعندها فقط ستكونين سعيدة.»

ودّعا بعضهما الوداع الأخير، واستقلت كايت سيارتها وهي تلوح لتلك السيدة، إلى أن اختفت عن ناظريها. ووصلت

إلى الطريق العام وكلمات السيدة كافوبولو ترن في أذنيها، هل هي صادقة في أقوالها؟

فكرة معينة ومضت بقوة في مخيلتها، أليكس وهما، لم يتخذا الإحتياطات الكافية في علاقتهما، لا يمكن أن يحدث شيء، لا! لا بد وأن السيدة كافوبولو كانت تجاملها لتشعرها بالراحة والسكينة. ولكنها قد تكون حاملاً من أليكس، كيف يمكن أن يحدث وهي التي لها آراء مختلفة عن بقية النساء في الأمومة ومتطلباتها.

لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً، أو حدث بعد ظهر ذلك اليوم الفريد. ولكن من الغباء أن ترمي هذه الإحتمالات جانباً، مهما كانت نتائجها.

وصلت بسيارتها إلى نافبليون، المدينة الصغيرة والمزدحمة بالحركة وقررت أن تمضي فيها ليلتين قبل العودة إلى أثينا.

في صباح ذلك اليوم، قررت كايت الخروج لمشاهدة الأماكن الأثرية، مبتدئة بالمسرح التاريخي القديم «ابيدافروس» وكانت قد أبكرت في الذهاب إليه، فأوقفت سيارتها تحت شجرة الصنوبر. وأخذت تطوف بالمكان، تستعرض المتحف والأبنية الأخرى القديمة قبل اجتياز السبيل الوحيد والوعر نحو المسرح الشهير للعالم التاريخي القديم.

«آسفة.» قالت المرأة التي اصطدمت بها من دون أن تنتبه لها. فابتسمت كايت وتقدمت وهي ترى جماعات من السياح يقفون بذهول تام وهم يستعرضون ذلك المسرح الخالد. وجلست على احد المقاعد الحجرية وأغلقت عينيها

باسترخاء وهي تتصور نفسها تعيش في قرون مضت، جالسة في هذا المكان تشاهد مسرحية بمعارف مثل السيدة كافوبولو... وأليكس أيضاً. وأخذت صورته تتسلل إلى مخيلتها بانشراح وارتياح، لأنها توصلت إلى التفكير من دون ألم.

تذكرت أنها قرأت في كتاب عن هذا المكان، يتناول في الأساس معالجة المرضى.

ألقت كايت بصرها نحو الإزدحام، ولاحظت أن أحدهم يحاول إقناع الآخرين بالإبتعاد عن منطقة المسرح، وبكل طيبة خاطر خرجوا من المكان، تاركين وراءهم رجلاً طويلاً أسمر اللون. وتسارعت دقات قلب كايت وهي تحدق ببصرها بذاك الرجل وكادت تنهار وهي ترتجف كورقة في مهب الريح، من المستحيل أن يكون أليكس، لا إنها تخدع نفسها، لا بد أن عواطفها عادت لتلعب بأعصابها من جديد.

وقفت وهي تطيل النظر إلى ذلك الرجل الذي أخذ يبحث بنظرات فوق صفوف المقاعد الحجرية الكثيرة يبحث، ويبحث بصره أخيراً ليستقر على الأشجار الخضراء الكثيفة وراء هذا المكان. ارتعشت ورمت بنفسها فوق المقعد الحجري، لقد كان أليكس، هذا ما من شك فيه، ولكن ما الذي جاء به؟ وهل جاء يبحث عنها. وسمعت صوته بوضوح يهتف: «كايت هل تتزوجينني؟»

لم يكن وحده الذي ركز بصره عليها. ووصلت إلى مسامعها تنهدات قوية وكأنها آتية من أعماق البحار، ووجوه قلقة تترقب بحماس بقية فصول المسرحية المأساوية وبقيت على حالها من الصمت.

«آه... يا له من مشهد عاطفي.» قالت سيدة، وهي تمر بقرب كايت لتصل إلى زوجها وتقول له: «الزواج على هذه الصورة...» وتابعت تقول موجهة الكلام هذه المرة لكايت: «هيا ردي عليه ولا تتركيه طويلاً يغالب الظنون.»

اهتزت كايت لاهتمام تلك المرأة بالأمر الذي يعنيها هي، وحدها، ولم تستطع التقاط أنفاسها المتلاحقة، ولا تستطيع الكلام. «كايت؟ هل تسمعينني؟» هتف أليكس بصوت مرتجف على غير عادته، وكأن هول المكان واللحظة التي هو فيها أثرا فيه. وبارتجاف كلي وقفت كايت مجدداً على قدميها ورفعت يدها تلوح بسعادة بالغة.

«ما هو ردك يا كايت؟ أحبك، وأريدك زوجة لي وأماً لأولادي.»

تقدم أليكس إلى وسط المسرح ووقف منتظراً ردّ كايت، وسط تنهدات الكثيرين لهذا المشهد الدرامي العاطفي والذين حجبوا أليكس عن عيني كايت، وعاد ليظهر فجأة، يتقدم بخطوات واسعة نحو السلم الحجري بين صفوف المقاعد الكثيرة وبدأ رحلته بالصعود محدقاً بها طوال الوقت.

أحست باضطراب شديد وهي تشاهد أليكس يقترب منها بعزم وإصرار. إن اللحظة التي انتظرتها دوما وظنت أنها لن تأتي، قد اقتربت ودنت منها، خطوات قليلة وتكون وجهاً لوجه أمام أليكس. ها هو بعينيه المشعتين يقترب منها ويقول: «كايت، لقد وجدتك!» ومدّ يده بخجل واضح، واحتضنت اليد الممتدة صوبها ثم جذبها إلى صدره. «تعالي، لا نستطيع التكلم هنا، ولكنني كنت أعني كل ما قلته

فوق المسرح.» ملقياً نظرة سريعة والإبتسامة تشع على شفتيه.

«آسف، ربما احرجتك بتصرفي هذا، لكنها الطريقة الوحيدة للتأكد من أنك لن تهربي من أمامي.»

لم يعطها أية فرصة للكلام بل استدار وأخذ يساعدها في الهبوط فوق الدرج الحجري، بلطف، إلى أن وصلا إلى ساحة المسرح.

«من الأفضل أن نجد مكاناً أكثر هدوءاً من هذا المكان، نزهة قصيرة قد تعطيك المجال الواسع في التفكير.» وأخذ يشير لها ويدلها على المكان الذي اختاره بعيداً عن المسرح، نزولاً في ممر ضيق نحو مجموعة من الأشجار تظلل بعض القطع الأثرية، المنهارة من الأبنية التاريخية.

«يمكننا الجلوس هنا.» ومد يده ليساعدها في الجلوس بقربه. «وسأقول لك...» وتكسرت الكلمات فوق شفتيه وهو ينظر إلى البعيد: «هناك الكثير لأقوله، أشياء كان من المفروض قولها قبلاً، عندما أتيحت لي الفرصة لذلك.»

«كذلك هناك أشياء كثيرة أسألها عنك.» قالت كايت بنعومة.

استدار أليكس لينظر في وجهها مبتسماً. «إنها المرة الأولى التي تتكلمين فيها.»

«كنت ارتجف ولم أستطع الجواب.»

«عن الذي عرضته عليك، أم عن الأمور كافة؟»

وأجابت كايت باستسلام: «كليهما، ظننت أنني لن ألقاك

ثانية، وعدت لتسألني.» وتباطأت كلماتها، لتغرق في صمت عبر عن احاسيسها الدفينة المحتجبة.

«كيف عثرت علي؟» سألته أخيراً: «لم أنبىء أحداً بمكاني، وفي الحقيقة لم أحدد أي اتجاه مسبق، حللت في قرية صغيرة في مكان ما فوق التلال.»

تناول أليكس يدها وضغط عليها. «كتاب دليل السائح الذي تركته مفتوحاً في منزلك على صفحة، تصف ابيدافروس.»

«إنها مصادفة غريبة.» قالت كايت على غير وعي.

«لم أخطىء بالمجيء إلى هنا، قرأت الكتاب لأبعد عن رأسي الهواجس التي...» وعاد يلفهما صمت عميق، مفكرين بالأحداث التي مرت بهما وكأنها عاصفة هوجاء.

ها هو الآن بقربها ولا شك أن أحداً... إنها ماريا، هي وحدها التي غيرت رأيه ولكن ليس بالضرورة عن فكرة الزواج.

«ما الذي أعادك إلي؟» حدقت فيه بعينين واسعتين. «ولماذا عدت للبحث عني بعد الذي قلته؟» ارتجف صوتها وتوقفت عن الكلام وهي تراقب وجهه الأسمر الجميل.

«لقد أخبرتني ماريا.» قال بكل بساطة: «لقد شرحت لي ما جرى بينك وبين مايكل، وكل شيء.»

لم يخبرها عن المعركة التي دارت بينه وبين شقيقته لتجعله يصغي إليها. وردة الفعل الأولى لديه كانت أن ما تعلمه شقيقته عن كايت لا يعنيه البتة. ولا يمكن تصديق شيء منه. لكن ماريا أصرت على موقفها إلى أن أقنعته بأن قصة كايت صادقة من البداية إلى النهاية.

«عدت إلى الكوخ تلك الليلة وظننت أن مايكل كان قد رحل في ذلك الوقت المتأخر، وقد تكونين بحاجة إلى صدر لتذرفي دموعك عليه.»

رفع رأسه بأسى مبتسماً ابتسامة مرة. وحاولت كايت الكلام، لكنه أومأ إليها بيده فتوقفت عن الكلام ولم تقاطعه.

«رأيت سيارتك وسيارته متوقفتين أمام المنزل، والأنوار تشع في المكان.»

وفهمت كايت كل شيء. «وظننت أننا وجدنا حلاً لمعضلاتنا، أنا ومايكل.»

«إنما تعبّدان طريق سعادتكما المقبلة...» قال أليكس متابعاً، بخشونة، جعلت كايت ترتعد: «بعد الذي كان بيننا، وتقاسمناه لساعات قليلة خلت.»

«لم أصدق أن من الممكن أن تكوني فتاة منحرفة أو حتى متقلبة، مزاجية، ولكن ماذا أستطيع قوله بعد الذي رأيته تلك الليلة، وعندما رأيتك في اليوم التالي ظننت أنك قادمة لتخبريني بعودتك إليه، وعرفت اني لن استطيع تحمل سماع تلك الكلمات.» أنهى كلماته بصوت مرتعش ثم تقدم منها جاثياً أمامها وأمسك يدها ليقبض عليها بحرارة.

«ظهور مايكل المفاجيء، أقنعني بأن الذي كان بيننا لم يكن لقاء عابراً فقط.»

أخذها بين ذراعيه. «وأخذتني الظنون بأنك بين ذراعيه كما كنت بين ذراعي، وكرهته كرهاً شديداً وفكرت بقتله فيما لو خرج من المنزل في تلك اللحظة، وأدركت عندها بأني أحبك يا كايت بكل جوارحي. إنك امرأة جذابة، وأريدك معي إلى الأبد.»

اجتاحت كايت موجة عاتية من اليأس، فالعرض الذي قدمه لها على المسرح التاريخي لم يكن بالفعل ما يقصده، وهذا ما كان يقلقها طوال الوقت. وتذكرت ملاحظة ماريا عن عزمه وتصميمه على عدم الزواج مرة أخرى. ولكن هل لديها خيار آخر؟ ونظرت إلى وجهه ولكن الكلمات توقفت فوق شفتيها عندما عانقها.

«ماذا كنت ستفعل لو لم تجدني هنا؟ ربما كنت انتظرت طويلاً، وإلى الأبد إلى أن أظهر ثانية بينما أكون على بعد آلاف الأميال، بعيداً في بلادي.»

«كنت سأمنح نفسي يوماً آخر من الإنتظار أو الذهاب دون تردد إلى أثينا لأستعلم عن الرحلة التي قد تكونين على متنها، وقد ألحق بك إلى بريطانيا.»

«لكن شيئاً من هذا لم يحصل، هناك شيء لم تعلميني به.» قال أليكس بنعومة وكأنه يذكرها بأمر هام. «لقد قدمت عرضاً وقطعت مسافة طويلة لأجد له جواباً.»

«عن أي شيء تتكلم؟» أجبرت نفسها على التحرر من ذراعيه، مبتعدة عنه كي يتيح لها التفرس في معالم وجهه.

«لست أدري عما تتكلم وتريد الجواب عليه، إلاّ إذا كنت تعني الإثنين معاً.»

«الإثنين؟ ولكنه أمر واحد بالتأكيد، ألا وهو الجواب عن زواجك مني.»

«ألم تطلب مني أن أصغي إليك، وبعد ذلك قلت إنك تريدني وإلى الأبد، الأمران متناقضان تماماً.» ابتسمت كايت بحزن وتابعت: «لقد أخبرتني ماريا كل شيء، وعن الحادث الذي لحق بزوجتك وطفلك، إني آسفة للذي جرى

وألمّ بك، وفهمت أنك لا تنوي الزواج مرة أخرى، كما أنني لا أستطيع الإستمرار في علاقات عاطفية فقط، أريد شيئاً مستديماً وواضحاً.» أنهت كلماتها بيأس قاتل.

عاد الصمت يلفهما من جديد وكايت تتلهى بالنظر إلى أشواك الصنوبر التي سقطت على الأرض، ثم سمعت صوت أليكس بنبرة هادئة وجدية لم تعهدها منه، يقول: «بعد وفاة فيونا ونيكولاس، أحسست بأن حياتي قد انتهت، وتوهمت بأني لن أقع في الحب مرة أخرى، وقد أكون خائناً لو فعلت، ولكني كنت على خطأ لأنني، بعد كل هذه المدة، عثرت على فتاة أبادلها الحب.»

عاد إلى الصمت مرة أخرى وحبست كايت أنفاسها، تنتظره أن ينهي كلامه. عاد إلى الكلام بعد برهة متنهداً: «تلك الأوقات السعيدة التي أمضيناه معاً لا مثيل لها، والزواج منك، يعني حياة رائعة، مختلفة بجميع جوانبها.»

القت كايت نظرات، ملؤها الفرح والإنتعاش نحو أليكس الذي تابع يقول: «لذلك، أيتها الحبيبة، أريد أن أسألك مرة أخرى وعلى انفراد أو ربما قد تفضلين أن أقدم عرضاً آخر أمام الجماهير؟» وهزت كايت رأسها. «هل تتزوجين مني يا كايت قبل أن تجيبي على طلبي؟» ووضع أصبعه على شفتيها: «إذا أحببت ارتداء السراويل القصيرة فلا مانع عندي.» وأخذ كايت العجب من هذا الكلام، وعندها احمرت وجنتاها بإحراج، لتذكرها ملابسها غير المحتشمة تلك الليلة التي دعته فيها إلى العشاء، وحاولت أن تقول شيئاً ولكن أليكس تابع كلامه: «ولن أرضى بأي شكل من الأشكال في أن تضحي باستقلاليتك أو بمهنتك. إن ما يهمني في هذه

الحياة هو أنت، وأشاركك في مهنتك هذه إذا أحببت، إذا كان هذا شرطاً للزواج مني.»

أحست كايت وهو يكلمها بأن عالم التجارة بكل عوامله قد بدأ يزول نهائياً عنها. لقد أمضت حياتها تكافح وتجاهد من أجل تحقيق النجاح الكامل بمهنتها وفجأة أصبح هذا الأمر لا يهمها أو حتى لا يعني لها شيئاً، وقبل أن تعطي جوابها، دفعها بلطف عنه متفرساً في وجهها. «هناك شيء آخر، إذا كنت لا تزالين مصرة على عدم تأسيس وتكوين عائلة، فأنا رافض أيضاً.»

لكن كايت هزت رأسها بخجل. «فقد فات الآوان، فقد سبق و...» وسمعته يتنهد بسرعة، فأسرعت نحوه لترمي برأسها على صدره.

«آه، يا حبيبتي، يا أعز حبيبة.»

«أما بالنسبة للعمل.» قالت كايت بعد فترة: «سأكون منشغلة لعدة سنوات مقبلة ولن يكون هناك متسع من الوقت لذلك، وإذا أرادت ليز إدارة الأعمال فيمكنها ذلك، أو ربما أبيع حصصي، سننظر في هذا الأمر لاحقاً.»

قبلها أليكس برقة ثم قال: «لم أفهم بالضبط ما تعنين؟ إذا كنت فعلاً حاملاً، سيحتاج الطفل لأشقاء وشقيقات، ولن يربّوا أنفسهم، أليس كذلك؟ أنت لا تعرفني جيداً، لن أسمح لأحد سواي الاهتمام بعائلتي.»

«أعرفك بما فيه الكفاية.» تنهد أليكس باقتناع. «سأكرس حياتي من الآن فصاعداً لمعرفة المزيد عنك، بما فيه إصرارك على عدم إعطائي جواباً على سؤال واضح وبسيط.»

«لقد نسيته، هل تذكرني به؟»

«يا حورية البحر...»

أخذ يعاقبها بطريقته الخاصة التي خنقتها، إلى أن منحها الرأفة والحنان أخيراً.

«هل تتزوجينني؟»

«نعم،» هتفت بفرح وارتمت في أحضانه.

«هناك سؤال آخر لم تطرحه علي، ولكني سأعطيك الجواب عليه، إنه في غاية الأهمية ولا أستطيع الإحتفاظ به لنفسي ولو للحظة واحدة.» وضعت يدها فوق خده، وهمست بصوت خافت: «أحبك يا أليكس.»

لفها بذراعيه بشدة وأدركت عندها أنها وجدت سعادتها أخيراً.

تمت

WWW.REWITY.COM
مرمود